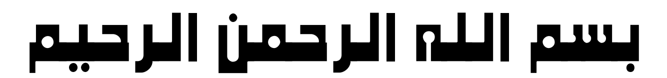
كلمات في العقيدة

الكتاب السادس

د . أمير علي الحداد

كلمات في العقيدة


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الكتاب

الحمد للّه فاطر السماوات والأرض.. الحمد للّه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده تبارك وتعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.. أحمده ملأ السماوات وملأ الأرض وملأ ما شاء من شيء بعد.. اللهم إني لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك...

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له.. الواحد القهار.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار المبعوث بالتبشير والانذار صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بالعشي والإبكار.

أما بعد....

فقد ثبت عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أنه قال...

«**من لقي اللّه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة**» (البخاري)... ولما كان أول ما يسأل عنه المرء في قبره.. «**من ربك!**» «**ما دينك؟**».. «**ما تقول في هذا الرجل؟**»... (صحيح الترغيب والترهيب)

ولما كانت العقيدة الصحيحة هي سبيل النجاة من الخلود في النار... والشرك هو السبب الوحيد للخلود فيها.. فهذا هو الكتاب السابع في سلسلة (**كلمات في العقيدة**).. تبين للناس أمور عقيدتهم بأسلوب التحاور اليومي.. لتثبِّت عندهم أسس التوحيد وتفنِّد أسس الشرك وملحقاته..

ولما كان عمل البشر لا يخلو من الزلل والخطأ فإني سائل كل من

وجد من ذلك شيئا ألا يبخل علي بالنصح والإرشاد.. وإني سائل كل من انتفع بشيء من هذه السلسلة ألا يبخل علي بدعوة صادقة في ظهر الغيب، عسى الله أن ينفعني وإياه بها..

وفي هذا المقام ينبغي الدعوة بخير الجزاء لكل من ساهم في إخراج هذا الجزء سواء بالحوار أو المناقشة أو المراجعة أو الطباعة...

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم لارياء ولا سمعة، وأن يجعله عملاً صالحاً ينفع بعد الموت.. اللهم آمين...

الفقير إلى عفو ربه

د. أمير علي الحداد

يونيو ٢٠١١

رجب ١٤٣٢

للتواصل:

amir122@yahoo.com

هل تعرف ربّكَ؟!

ـ إن قناعتي تزداد كل يوم بأن غالب المسلمين لا يعرفون ربهم كما يجب ومقصرون في أصل الدين الذي هو التوحيد..

ـ ولكن قضية (معرفة اللّه) قضية فلسفية كلامية اختلف فيها علماء الإسلام منذ ظهرت المذاهب الفلسفية.. والمصطلحات المستخدمة في هذه القضية صعبة الفهم والقراءة أيضا..

ـ ومن الذي قال إن «معرفة اللّه» فلسفة وكلام؟!

ـ هذا ما قرأناه في تصنيفات التراث الإسلامي..

ـ بل هذا ما أراد أعداء اللّه الوصول إليه وأظنهم نجحوا إلى حد كبير.. إسمع يا أخي.. إن «معرفة اللّه» أصل الدين وأشرف علم وأسمى ما يمكن أن يتعلمه المسلم وأوجب ما يمكن أن يحققه.. إن «معرفة اللّه».. هي مدار «علم التوحيد».. ومدار قول أحدنا «لا إله إلا اللّه».. فكيف يعقل أن يتلفظ أحدنا بهذه الكلمة العظيمة التي بها يدخل في الإسلام وبنقضها يخرج من الإسلام ولا يعرف ربه كما يجب؟!..

كنت وصاحبي في حوار قبل البدء بمراجعة بعض فصول موطأ الإمام مالك رحمه اللّه أخذ كل منا أريكة منفصلة في مكتبه الفخم بانتظار قهوة الصباح..

ـ وما الحد الأدنى.. الذي يجب أن يحققه كل مسلم..

ـ قبل أن نتحدث عن الحد الأدنى.. الأولى أن نتبين السبيل إلى معرفة الله.. ومتى عرف المرء السبيل الصحيح فإنه بلا شك سيحقق الحد الذي ينال به رضا الله عز وجل..

ـ إذن ما السبيل إلى معرفة الله؟

ـ ليس هناك سبيل إلى معرفة الله إلا ما أخبرنا الله به عن نفسه عز وجل.. سواء في كتابه أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم دون زيادة أو نقصان.. إذا سرنا على هذا السبيل.. كما فهم الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح فإننا سنصل إلى الحق بإذن الله.. ومن حاد عن هذا السبيل.. برأي أو كلام أو فلسفة أو هوى أو غير ذلك فقد ضل سواء السبيل..

وصلت قهوتنا.. وكعادتي رفعت الكوب أتمتع بنكهتها ورائحتها.. ثم أرجعتها «لتبرد قليلا».. تابع صاحبي الحديث..

ـ أعلم أن القاعدة في العبادات أن جميع العبادات محرمة إلا ما شرع الله.. وفي المعاملات جميع المعاملات مباحة إلا ما حرم الله.. فهل هناك قاعدة في «معرفة الله»..

ـ نعم.. في أسماء الله وصفاته عز وجل لا نثبت ولا ننفي إلا بدليل.. وما لم يرد فيه شيء لا نقول بإثباته ولا بنفيه.. ونتوقف عند ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة.. بفهم الصحابة والسلف الصالح.. دون زيادة ولا نقصان..

ـ هل لك أن تطبق هذه القاعدة..

ـ نعم.. ولكن قبل ذلك أود أن أضيف أن هذا العلم ليس من كماليات الدين ونوافل العمل.. بل هو أصل الدين وسبب النجاة يوم القيامة.. والأَوّلى بالمسلم أن يبذل وقته في «معرفة اللّه».. لأن هذا العلم يؤدي إلى كل ما يسعى إليه المسلم من الإخلاص والتزكية والطمأنينة وسلامة القلب والتوفيق في الدنيا والآخرة والنجاة من غضب اللّه ونيل رضا اللّه عز وجل.. فلا ينبغي لمسلم أن يهتم بالعبادات ويهمل التوحيد.. ويكثر من النوافل ويجهل التوحيد وينادي بفضائل الأخلاق وهو متشكك في التوحيد.. إذا تحقق التوحيد الصحيح تحقق كل ما فات لأنه تابع له..

هل تعرف ربك؟ (٢)

عاد صاحبي إلى سؤاله..

ـ ليتك تطبق القاعدة على بعض الأمور حتى تتبين لنا وتتضح..

ـ لنذكر القاعدة مرة ثانية.. «في الأسماء والصفات لا إثبات ولا نفي إلا بدليل» ولنطبقها.. مثلا في صفات اللّه عز وجل دعني أسألك.. هل يجوز أن نصف ربنا بأنه يتكلم؟

تردد صاحبي..

ـ بصراحة أخاف أن أخوض في هذا الأمر وأخشى أن أقول شيئا أخطئ فيه..

كررت عليه السؤال بإصرار ولكن بطريقة أخرى..

ـ أنت.. ما عقيدتك.. هل تعتقد وتؤمن بأن اللّه يتكلم؟

ـ بصدق لا أدري ما أقول.. ولم أفكر أنني يجب أن أعرف إجابة هذا السؤال!

ـ هذا تقصير في «معرفة اللّه» عز وجل.. كيف لا تعرف ربك يتكلم أم لا.. ألا تعرف أن القرآن كلام اللّه عز وجل؟!

ـ نعم أعرف أن القرآن كلام اللّه ولكن لا أستطيع أن أقول إن اللّه يتكلم..

ـ ولماذا لا تبحث عن عقيدة السلف في هذا الأمر لترتاح وتطمئن وتعرف ربك كما يحب هو سبحانه وتعالى وكما أخبر في كتابه.

ـ سكت صاحبي بانتظار الإجابة مني..

ـ عموماً.. أنا أؤمن بلا أدنى شك.. وبيقين تام.. بأن اللّه عز وجل يتكلم كلاماً يليق به تبارك وتعالى لا يشبه تكلم البشر ولا شيء من المخلوقات.. ويتكلم متى شاء بما شاء.. ولقد كلم اللّه تبارك وتعالى موسى عليه السلام كما قال تعالى.. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ (النساء).. وقال سبحانه للملائكة ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ (البقرة ٣٤).. ونادى آدم وحواء ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الأعراف ٢٢).. والقرآن كله كلام اللّه تكلم به حقيقة.. ويوم القيامة يتكلم ربنا فيقول: «**أنا الملك أنا الجبار أين ملوك الأرض..**» (متفق عليه).. فصفة الكلام ثابتة في حق اللّه عز وجل نثبتها ونؤمن بها ونقول إن كلامه لا يشبه كلام المخلوقات كما أنه هو سبحانه وتعالى لا يشبه شيئا من مخلوقاته ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)..

جلس صاحبي منصتا.. كطالب يتلقى درساً جديداً..

ـ دعني أسألك سؤالا آخر..

ـ لن أجيب.. فاسأل وأجب أنت..

قالها مصرّاً ضاحكاً..

ـ القصد بيان الأمر لا السؤال لأجل الاختبار.. مثلا هل تعتقد أن اللّه عز وجل «يغضب»؟

ـ أنا أعلم أن المسلم يتعوذ من غضب الله.. ولكن أن نقول إن «الله يغضب» فلا أدري.

ـ هذه نقطة أخرى.. لماذا لا تؤمن وتعتقد بيقين دون شك بأن الله يغضب وقد أخبر الله عز وجل عن نفسه أنه «يغضب».. كقوله عن الذي يقتل مؤمناً متعمداً.. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ (النساء).. وقال عز وجل عن اليهود ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ (المائدة: ٦٠) .. وقال عز وجل في سورة الممتحنة.. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ (الممتحنة ١٣).. هذه الآيات وغيرها وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة كقوله عن يوم القيامة «**لقد غضب ربي غضباً لم يغضب قبله مثله**» (صحيح الجامع).. تُبيِّن أن الله يغضب.. على من يقتل مؤمنا متعمدا.. وعلى اليهود.. وعلى الكافرين.. وغضبه عز وجل غضب يليق به عز وجل لا يشبه غضب شيء من المخلوقات.. كما أنه سبحانه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.. نعوذ بالله أن يغضب علينا أو يجعلنا من المغضوب عليهم.. نعوذ بالله من غضب الله.

ربُنا... ونحن

إلتقيته بعد الفراق الصيفي المعتاد.. تحدثنا عن الصيف.. والجو.. والسفر.. وأمور أخرى.

- عجيب أمرنا مع ربنا.. يُـنعم علينا.. ونكفر بنعمه.. يتقرب إلينا.. ونبتعد عنه.. يتحبب إلينا.. ونتبغض إليه.. ومع كل ذلك.. يمهلنا.. ويحلم علينا.. بل «ويغرينا» بالرجوع إليه.. وينذرنا من الإستمرار في الإبتعاد عنه..

- هذا كلام جميل..

- بل هي حقيقة.. وعقيدة.. يغفل عنها كثير من الناس.. عندما يقول الله تبارك وتعالى.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ (غافر) وعندما يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ (الرعد).. أليس في ذلك مدعاة أن يستحي الإنسان من ربه.. فرغم أن الله «أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة».. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ (غافر)..

بدأ نور الشمس يختفي مع غروبها واستدارت قرصا أحمر اللون على أفق مياه البحر.. لم يكن هدفنا من تلك الرحلة البحرية صيد السمك «الحداق».. ولكن فحص قاربنا الذي هجرناه ثلاثة أشهر كاملة..

- إن البشر يتفاوتون تفاوتاً كبيراً في تلقيهم لأوامر الله.. بعضهم

يستحي وبعضهم يخاف وبعضهم يفكر وبعضهم لابد أن يُجبر.. وبين هذه الفئات وبعدها أصناف كثيرة من النفسيات البشرية التي لا يحصيها إلا اللّه.

- إن العقيدة الصحيحة في هذا الأمر أن اللّه بيَّن للناس وأعطاهم كل ما يحتاجون إليه للوصول إلى الحق والهداية والسير على درب النجاح والفلاح في الدنيا والفوز يوم القيامة.. فأرسل الرسل وأنزل الكتب ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ (النساء) فلا عذر للإنسان إذا لم يهتد.. لأن الوسائل المؤدية إلى الهداية توافرت له والباقي عليه هو وسواء تأثر الإنسان بآيات الرحمة ووصف الجنة والنعيم وصفات الجمال والكمال للّه عز وجل أو تأثر بآيات العذاب والنار وشدة العقاب وبطش الرب وحسابه يوم القيامة.. أو تأثر بآيات الكون من مخلوقات اللّه أو بأسرار الخلق والعلوم الدنيوية.. أقول أيًّا كانت أسباب الوصول إلى أنه هناك إله واحد خلق الكون وأرسل الرسل وأنزل الكتب أحيى الناس وَسَيُميتُهُم ثم يحييهم ويحاسبهم يوم القيامة.. يجب على الإنسان بعد ذلك أن يسلك «سبيل النجاة» لأن الوقوف عند أية نقطة في طريق الهداية ليس إلا رجوعاً عن الطريق..

- هلا فصّلت ما تعني؟

- أقول عندما يؤمن الإنسان باللّه عز وجل.. يجب أن يبحث عن «سبيل النجاة» وذلك باتباع الرسل.. فمن كان في زمن موسى وجب عليه

اتباع موسى.. ومن كان في زمن عيسى لزمه اتباع عيسى.. ومن كان في زمن محمد وبعده وجب عليه اتباع محمد صلى الله عليه وسلم.. وإلا تراجع عن الفكرة الأولى التي آمن بها وهي أن الله خلقنا وبَيّن لنا وأرسل لنا الرسل وأنزل علينا الكتب وَسَيُمِيتُنَا ويحاسبنا.. ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ (الشورى: ٧) ولا فرقة ثالثة يوم القيامة.

الأسماء والصفات

قطعا علي خلوتي في الخيمة..

- جالس وحدك؟

- كلا.. لست وحدي..

وأومأت إلى كتاب في يدي.. أخذا مجلسيهما.. بعد الأسئلة المعتادة.. بدأ (بوفيصل) أسئلته في العقيدة والعبادة.. وعادة ما يبدأ بأنه سمع برنامجاً في الإذاعة أو قرأ مقالة في الصحيفة!!

- سمعت في إذاعة القرآن أن أسماء الله الحسنى تدل على صفات له عز وجل، أما الصفات فلا نشتق منها أسماء له سبحانه وتعالى..

- نعم.. هذه قاعدة جليلة.. تنفع المسلم في التعرف على أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته..

- لم أفهم المعنى تماماً..

- دعني أوضح لك بالأمثلة.. من أسماء الله عز وجل أنه السميع.. كما قال عز وجل.. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).. وفي آيات أخرى كثيرة.. فنقول إن من أسماء الله الحسنى (السميع).. وهذا الإسم يدل على صفة السمع.. لأن من أسمائه السميع.. وكذلك (البصير).. نثبت لله عز وجل بصراً يليق بجلاله لا يشبه شيئاً من مخلوقاته.

أما عن الصفات.. فمن صفات الله عز وجل التي تثبت في الأحاديث

الصحيحة أنه سبحانه «**يفرح بتوبة عبده**» (صحيح مسلم).. وأن اللّه عز وجل «**ينزل إلى السماء الدنيا ثلث الليل الأخير**» (متفق عليه).. وأنه «**يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله**» (صحيح الجامع).. وهكذا.. كل صفة ثبتت في القرآن أو الأحاديث الصحيحة فنثبت الصفة للّه عز وجل.. فنقول «**يفرح فرحاً يليق بجلاله عز وجل**» .. و«**ينزل نزولاً يليق بجلاله عز وجل**».. ولا نشتق من صفة (الفرح).. أو (النزول) اسما للّه عز وجل فنقول (فرحان).. أو (غضبان).. هذه ليست من أسماء اللّه عز وجل.. فالأسماء توقيفية.. أي.. إن أسماء اللّه الحسنى هي ما ثبتت في القرآن والسنة الصحيحة.. لا نشتقها من الصفات ولا نزيد فيها ولا ننقص..

- وإذا أردنا أن ندعو اللّه عز وجل.. ندعوه بالأسماء دون الصفات.

- أخبرنا اللّه عز وجل فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ (الأعراف: ١٨٠).. فالمسلم يدعو اللّه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ويختار ما يناسب المقام، مثلاً إذا أراد أن يسأل اللّه المغفرة.. يدعوه باسمه (الغفور والغفار والتواب والرحيم والعفُّو).. وإذا أراد أن يسأل اللّه الرزق والغنى.. يدعو بأسمائه.. (الرزاق الغني الكريم الجواد الوهّاب).. وإذا أراد النصر والتأييد يدعوه بأسمائه.. (القوي.. العزيز.. المتين.. الجبار.. المهيمن).. وهكذا.. وكذلك يدعوه بصفاته كما جاءت في القرآن.. مثلاً.. إذا كان مضطراً ولا حيلة له.. يدعوه.. (يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء).. فإن هذه صفة من صفات اللّه عز وجل وكذلك من صفاته.. (مرسل الريح).. و(مسيّر السحاب).. فلكل مقام دعاء يناسبه.

تردد ومهد لسؤاله قبل أن يسأل..

ـ وما الفوائد.. وأعلم أن هناك فوائد كثيرة ـ لمعرفة هذه التفاصيل من العقيدة؟

ـ الأسماء والصفات من أركان التوحيد الذي يجب أن يحققه المسلم لينجو من الشرك فلقد ذم الله الملحدين في أسمائه فقال.. ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الأعراف).. فهو من أشرف العلوم وأنفعها للمسلم.. يتعرف إلى الله عز وجل.. في العبادة والدعاء والدعوة.. ويحقق التوحيد في الدنيا ليأمن في الموت والقبر والبعث.. ويوم القيامة يتبع كلٌّ قوم ما كانوا يعبدون إلى جهنم عدا المؤمنين فإنهم ينتظرون ربهم في الموقف حتى يتجلى لهم بما عرفوا من صفاته في الدنيا.. (أصله في صحيح مسلم) وهذه من أعظم النعم.

إثبات الصفات لله عز وجل

بعد انقطاع شهرين تقريبا أدى صلاة العصر في مسجدنا يوم عرفة.. كنا صياماً.. ذهبنا بالمركبة إلى الساحل القريب.. كان البحر غير هادئ.. تحدثنا عن أمور كثيرة إلى أن ذكر لي كتابا في العقيدة يتناول مسألة الصفات..

ـ يقول صاحب الكتاب إن الذين يثبتون لله الصفات «يجسدون» الرب ويناقضون أنفسهم لأنهم يلجؤون إلى التأويل إذا تعذر عليهم إثبات الصفة كما جاءت في القرآن والسنة..

ـ هذا الكاتب سبقه آخرون يحملون الفكر نفسه وينكرون على أهل السنة منهجهم في إثبات الصفات، ومشكلة هؤلاء أنهم لم يفهموا أقوال السلف ابتداء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة.. أهل السنة والجماعة يقولون: (نثبت لله ما أثبته لنفسه).. هذا هو الشق الأول.. وفي التفصيل.. يقولون إن (الصفة معلومة والكيف غير معلوم).. و(كل صفة لله عز وجل تليق بجلاله ولا تشبه صفة المخلوقين).. وربما تشابهت الألفاظ ولكنها في حق الله ليست كما هي في حق المخلوق.. من فهم هذه الجمل البسيطة لا يمكن أن يقع في خطأ عند الحديث عن صفات الله عز وجل..

أنكر علي مقولتي الأخيرة..

ـ أنت تقول بسيطة.. ولكن هل يفهمها العامي وغير المتخصص في العقيدة؟

ـ نعم.. يفهمها كل من ينطق بالعربية ولأبين لك مدى سهولتها تعال نتكلم عن الصفات التي ينكرون نسبتها إلى الله عز وجل.. مثلا.. (صفة النزول).. أولا: نثبت أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة إذا كان الثلث الأخير من الليل.. لأن ذلك ثابت في الحديث الصحيح (متفق عليه).. وكذلك ينزل يوم عرفة إلى السماء الدنيا.. (صحيح الترغيب والترهيب) فنقول عن ربنا كما أخبرنا هو عز وجل بوحيه إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.. (ينزل ربنا نزولاً يليق بجلاله لا كنزول المخلوق).. ونقول (النزول معلوم والكيف مجهول).. مشكلة من ينكر هذا النزول أنه يشبهه بنزول المخلوق.. ويقول (إذا نزل ربنا فإنه لا يكون مستوياً على عرش).. ويقول.. (إذا نزل في ثلث الليل الأخير.. فإن هناك مكاناً في الأرض دائماً يكون فيه الوقت ثلث الليل الآخر فيكون ربنا نازلاً دائماً)!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. ولذلك يقولون لا يمكن أن (ينزل ربنا).. و(إنما نقول تنزل رحمة الله)!! وما وقعوا في هذه المشكلة إلا لأنهم ظنوا أن نزول الخالق عز وجل كنزول المخلوق.. وإلا فما المانع أن نقول إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وهو أيضا مستوٍ على عرشه فوق سبع سماوات؟!

ـ المانع.. إن عقول البشر لا تستوعب هاتين القضيتين؟.. لأنهما منطقياً متناقضتان.

ـ عقول البشر لم تخلق لتستوعب كيفية صفات الله عز وجل.. لأن هؤلاء الناس قاسوا صفات الخالق بصفات المخلوق فقالوا: لا يمكن أن يكون في مكانين في آن واحد.. هذا للبشر والمخلوقات أما الله عز وجل فلا يجوز أن نخضع صفاته لعقولنا..

- ولكن كيف يمكن أن يكون مستوياً على عرشه وينزل إلى السماء الدنيا؟!

- ألم نتفق ابتداء أننا لا نسأل (كيف؟) في صفات اللّه عز وجل لأن الكيف لا يمكن لعقولنا أن تستوعبه، ولسنا مكلفين بمعرفة الكيف ولا نستطيعه.. ولكن (نؤمن بأن اللّه ينزل إلى السماء الدنيا).. إيماناً مبّنياً على الخبر الصحيح عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.. وكذلك نؤمن بأن اللّه عز وجل مستوٍ على عرشه فوق سبع سماوات.. وكلتا الصفتين للّه لا نشبههما بصفات المخلوقين.. فليس نزوله كنزول المخلوق ولا استواؤه على عرشه كاستواء المخلوق.. بل نزولٌ واستواءٌ لا نعلم كيفه ولكن نثبته ونؤمن به كما أخبرنا هو سبحانه وتعالى عن نفسه.

الإيمان بالأسماء والصفات.. ركن

مع انشغال صاحبتي بحفيدتنا الأولى (رتاج) أصبحت نزهات الجمعة مع البنات فقط.. وغالباً ما تكون مع البنتين لانشغال الثالثة بعملها الجديد في المستشفى.. (براء) هي التي تبدأ الحوارات دائماً... تنطلق من الندوات الأدبية.. والقراءات النقدية المبنية على (العقل).

ـ هذا التاريخ الطويل من الأدب والشعر واللغة وغيرها من الفنون المتعلقة بالحس الإنساني والمشاعر الوجدانية لابد أنه تطرق إلى قضايا العقيدة.. والإيمان بالله.. وأسمائه.. وصفاته.

ـ إن المنهج الأدبي البحت المبني على أقوال الأدباء والفلاسفة والمفكرين لا يمكن اعتماده في العقيدة.. إن المنهج الفلسفي يمتد إلى ما قبل رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.. وما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ليحق الحق ويبطل الباطل.. سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو العلاقات الاجتماعية.. فالمسلم منهجه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ (الحشر).

ـ وهل نلغي كل التراث الفكري والأدبي الذي سبق بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم؟!

ـ ما وافق منه عقيدتنا أخذناه وما خالفها نبذناه.. مثلاً.. أيّد الرسول صلى الله عليه وسلم قول الشاعر: (ألا كُلُّ شيء ما خلا الله باطل)،

وعارض ذات الشاعر قوله: (وكل نعيم لا محالة زائل). فقال إلا نعيم الجنة (أصله متفق عليه).. والمؤمن الذي يبحث عن النجاة يوم القيامة لا يجعل الأدب أساساً لدينه.. بل يجعل دينه أساساً لكل شيء.. الأدب.. الأخلاق.. المعاملات.. ولا يتنازل وخصوصاً في العقيدة..

اعترضت.. بينما كانت أختها تستمع دون اهتمام بموضوعنا..

- لِمَ التشدد الزائد في العقيدة؟! وخصوصاً في الأسماء والصفات؟

- لأن عقيدة المرء سبب نجاته من العذاب يوم القيامة.. كما في حديث أبي ذر.. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.. قال: وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى.. فكررها حتى قال في الثالثة رغم أنف أبي ذر..**» (متفق عليه) والقول هنا ليس نطق اللسان فحسب.. وإنما قول بالمعنى الشامل.. أي قول بفهم وإيمان وعلم.. والإيمان بالأسماء والصفات ركن من أركان العقيدة.. من أنكره كفر.

- اسمح لي يا أبي.. أظنك تتشدد أكثر من اللازم في هذا الأمر؟!

- دعيني أوضح لك.. الآن أمامك امتحان فيه سؤالان.. أحدهما إجباري والآخر اختياري.. فهل من العقل أن يجتهد الطالب في حل السؤال الاختياري.. ويعطي الإجابة الكاملة عليه بينما لا يعمل شيئاً تجاه السؤال الإجباري؟!

- بالطبع لا..

ـ ومع فارق التمثيل.. هكذا من يشتغل عن العقيدة بالأدب.. هذا إذا كان الأدب لا يؤدي إلى الجحود والبعد عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم.. وإنما ينمي اللغة ويصقل الموهبة.. إن ساعة يقضيها الإنسان في التعرف على أسماء الله وصفاته يتعلم ويحفظ ويبحث.. هذه الساعة أنفع من تلك التي يقضيها في نقاش فلسفي ونقد شعري.. وعلى أية حال لا تعارض.. ولكن الإيمان بالأسماء والصفات ركن.. بمعنى أن نؤمن بأن لله أسماء حسنى وصفات علا.. وهي أسماء وصفات تليق به سبحانه وتعالى ولا نصف أيًّا من المخلوقات بهذه الصفات الإلهية وأسماؤه عز وجل توقيفية لا نجتهد في اشتقاقها وتحليلها ولكن نؤمن بها كما جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة دون زيادة أو نقصان.. وإذا دعونا الله عز وجل ندعوه بما يناسب دعاءنا من أسمائه عز وجل وصفاته.. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠).

الإسم نشتق منه الصفة.. وليس العكس

استمتعنا بصحبة الإمام النووي والأربعين حديثاً في شهر رمضان.. في أحد هذه اللقاءات التي كانت أقرب إلى المناقشة منها إلى الدرس.. كنا نتدارس حديث «**إن اللّه طيّب لا يقبل إلا طيّبا**» (صحيح مسلم) إلى تمام الحديث.

- ألا نستطيع أن نقول: إن من أسماء اللّه (الطيب)؟!

كان السائل (بو بدر) أستاذا جامعياً في كلية التربية..

- (طَيّب) في حق اللّه أي منزه عن النقائص والخبائث سبحانه وتعالى.. ودعني أورد قاعدة في الأسماء والصفات يجب أن نلتزم بها حتى لا نحيد عن الحق..

الأسماء الحسنى تحمل الصفات، أما الصفات فلا تشتق منها الأسماء الحسنى..

وحتى تتضح الأمور دعني أضرب أمثلة.. من أسماء اللّه تبارك وتعالى (الكريم).. فهذا الإسم يقتضي (كرم اللّه) عز وجل الكامل الذي يليق بجلاله والذي لا مثيل له ولا يشبهه شيء.. ومن صفات اللّه أنه (يمكر بالكافرين) فلا نشتق من هذه الصفة إسماً للّه عز وجل.. وذلك أن أسماء اللّه توقيفية لا نثبت منها شيئا ولا ننفي منها شيئا إلا بدليل صحيح ثابت من الكتاب والسنة..

كان صاحبي يهز رأسه متجاوباً مع حديثي ويرسم التعابير المختلفة على وجهه بالقبول أو التفكير أو الاستفهام.

- أظن أننا نحتاج إلى أمثلة أخرى لتوضيح هذه القاعدة الجليلة؟!

وافقه اثنان من الجلوس.. استجبت لهم موضحاً.. مثلاً من أسماء الله عز وجل (العزيز).. فمقتضى هذا الإسم أن الله غالب على كل شيء لا يغلبه شيء سبحانه وذلك على الإطلاق والكمال.. ومن صفات الله (الحياء) «**يستحي أن يرد عبده إذارفع يديه صفراً**» (صحيح الترغيب والترهيب) ولكن ليس من أسماء الله (المستحي).. وإن كان في السنة «**إن ربكم تعالى حَيِّي كريم..**» (صحيح الترغيب والترهيب).

تابع صاحبي أسئلته..

- وإذا لم يعلم المسلم إسماً أن الإسم من الأسماء الحسنى أم لا ودعا به.. هل يأثم لذلك.. مثلا دعا باسم اشتقه من إحدى صفات الله عز وجل.. وهو لا يعلم؟!

- المسلم ينبغي ألا يدعو الله إلا بإسم يعرف أنه ثابت لله عز وجل وإلا فليدعُ بالصفة.. مثلاً.. يدعو بقوله: (يا من ينصر المظلومين) (يا من يحب الصابرين) (ياذا الجود والكرم) (يا ذا القوة المتين)..

هذه كلها صفات لله عز وجل يدعو بها المسلم في مواضعها مثلاً إذا أصابته حاجة.. لجأ إلى الكريم (يسأله من كرمه) وإذا شعر بالظلم لجأ إلى (القوي) يسأله النصرة والتأييد على من ظلمه وهكذا..

- وإذا لم يكن يعرف مثل هذه الصيغ في الدعاء؟

- الدعاء.. ينبغي أن يكون صادقاً مخلصاً ولا حاجة للسجع ولا للتكلف فيه.. وذلك الأعرابي الذي كان يدعو «**اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار**» (صحيح أبي داود).. أقره النبي على ذلك وأخبره أن جميع دعائه صلى الله عليه وسلم يدور على هذا المعنى.. فالمؤمن يلجأ إلى الله صادقاً.. و يأخذ بأسباب إجابة الدعاء.. ويتضرع إلى الله.. ثم يوكل الأمر إليه.. مؤمناً بأن الله يسمع دعاءه ويستجيب له بإحدى ثلاث.

- أليست أسماء الله الحسنى (٩٩) إسماً المطبوعة والمنتشرة بين الناس؟

- هذه الأسماء الـ(٩٩) ليست كلها صحيحة، لأن الحديث الذي يجمعها لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة**» (متفق عليه).. وهي متفرقة في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى أحصاها.. أي عرفها وآمن بها وعمل بمقتضاها.. وهناك أسماء لله عز وجل لا يعرفها أحد.. وأسماء علمها بعض خلقه دون آخرين.. ولكنه عز وجل أعلمنا كل ما نحتاج إليه لنفعنا في الدنيا والآخرة.

الصفات التي تليق بالله عز وجل

تقدم «بوعبدالعزيز» من مجلسي بعد صلاة العصر.. جلس بين يدي.. أدنى رأسه سألني بصوت خافت.. أسمعه ولا يصل الصوت إلى «أحمد» الذي كان يقرأ القرآن قريباً منا..

- ما معنى قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (القلم) أعجبني سؤاله وحرصه على المعرفة..

- إن تفسير ابن كثير فيه المعنى.. ولكن دعني أبيّن لك قاعدة تريحك في هذا الباب.. «صفات الله عز وجل».

لقد أراد الله لعباده المؤمنين أن يعرفوه بصفات وأسماء.. فذكر الله تبارك وتعالى هذه الصفات في كتابه العزيز.. وذكرها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الأحاديث الصحيحة.. وكلما ازداد المؤمن علماً بصفات الله عز وجل ازداد إيماناً به سبحانه وتعالى.. وهذه الصفات كلها صفات تليق بالله عز وجل ولا تشبه شيئا من صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى) والكلام في صفات الله واحد.

كان «بوعبدالعزيز» منصتاً.. منتبهاً.. انضم إلينا «بومساعد» مستمعاً دون أن يقطع الحديث أو يستفسر عن الموضوع.

- الكلام في صفات الله - عز وجل - واحد، نثبت لله ما أثبته لنفسه دون تشبيه فإنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ (الشورى:١١).. ودون

أن نصرف الصفة إلى معان اجتهاداً منّا.. مثلا من صفات الله عز وجل أنه يسمع.. ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: ١).. ومن أسمائه ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾، فنثبت لله صفة «السمع».. وسمعه عز وجل يليق بجلاله وليس كسمع المخلوقين.. ولا نتمادى في «تحليل».. السمع من الحاجة إلى أداة السمع وغير ذلك، لأن هذا من الخوض في الغيب والقياس على المخلوقين، ولكن نقول «إن لله سمعاً يليق بجلاله ليس كسمع المخلوقين ومن أسمائه السميع» وكذلك نقول في البصر.. وكذلك نقول في النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة.. وفي الاستواء على العرش.

قاطعني «بوعبدالعزيز»..

- هل لك أن تشرح أمر النزول؟!

- لقد ثبت في الحديث الصحيح: «**إن الله ينزل كل ليلة إذا كان ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا**» (متفق عليه).. الحديث.. فثبت أن الله ينزل نزولاً يليق بجلاله لا كنزول المخلوقين.. ولا نخوض في متطلبات النزول لأننا لا نعلم الكيفية.. ولا يجوز أن نقيس على نزول المخلوقين لأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى:١١).. وهذا الشيء نقوله في «المجيء» يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر).. يجيء ربنا مجيئاً يليق بجلاله لا كمجيء المخلوقين.. وكذلك نقول في «اليد».. ونثبت لله «يدين» لا كأيدي المخلوقين وكذلك «الوجه».. نثبت لله وجها لا كوجه المخلوقين.. وذلك أن الآيات والأحاديث دلت على إثبات هذه الصفات لله عز وجل.

ـ وماذا عن معنى الآية التي سألت عنها؟!

ـ أنا آتٍ إلى الآية.. ولكن أريد أن نثبت هذه القاعدة لجميع الصفات التي وردت في القرآن أو السنة للّه عز وجل.. فنقول أيضا إن اللّه «يفرح» لتوبة عبده.. ولكن لا كفرح المخلوقين وإنما «فَرَحٌ» يليق بجلاله عز وجل.. وكذلك نقول إن اللّه «يغضب».. ولكن لا كغضب المخلوقين.. وهكذا نثبت جميع الصفات التي وردت في القرآن والسنة بطريقة تليق بذات اللّه عز وجل ولا تشبه المخلوقين.

أما عن «الساق».. فقد ورد في الحديث في شرح هذه الآية أنه يوم القيامة يُنادى من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتمثل لمن كان يعبد الأصنام أصنامهم فيتبعونها.. ومن كان يعبد كوكباً أو ناراً.. يتمثل لهم فيتبعونه فلا يبقى إلا المؤمنون.. يبقون في أرض المحشر فيقال وأنتم؟ يقولون لم يأتنا ربنا.. فيأتيهم اللّه في صورة غير التي يعرفونها منه سبحانه وتعالى فيقول أنا ربكم، فيقولون لست ربنا؟ فيقول وهل بينكم وبين ربكم «علامة»؟ فيقولون نعم.. «الساق».. فيكشف لهم عن «ساق» فيسجد المؤمنون للّه عز وجل ويحاول المنافقون السجود فلا يستطيعون.. (مسلم) وهذا قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (القلم).

صفة الرحمة لله عز وجل

- لماذا يلجأ الخطباء إلى تخويف الناس ويذكرون الوعيد الشديد والعذاب الأليم وكأن الجميع سيدخل جهنم مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بأن يكونوا مبشرين وأن يدعوا الناس بالتي هي أحسن.

صاحبي يسأل بين فترة وأخرى أسئلة اعتبرها «جدالاً» لأنه يأخذ قضايا الدين بتراخ لا يحرص على صلاة الجماعة رغم قرب بيته من المسجد، أما الفجر فنادراً ما تراه، لا يصبِّر نفسه لسماع درس أو موعظة بعد الصلاة.. يحرص على لعب الورق.. بل ويحمل الورق في جيبه أينما ذهب!!

ـ لا شك أن الرحمة من صفات الله عز وجل، ومن أسمائه «الرحمن الرحيم».. ودين الإسلام يقدم الرحمة ويحب الرحماء، ومطلوب من المسلم أن يمتلئ قلبه رحمة، ولكن الناس يسيئون فهم الرحمة التي جاء بها الإسلام، إنها رحمة لمن يستحقها أما الآخرون فلا رحمة معهم.. بل الله عز وجل أمر المؤمنين بالغلظة في مواضع، فقال عن عقوبة الزنى ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ (النور: ٢).. والرأفة أقل من الرحمة.. وكذلك قال عن قتال الكافرين.. ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة: ١٢٣).

ـ إني أتكلم عن أسلوب الدعوة.. أليس الأولى أن تقدم الرحمة والجنة على العذاب والنار في دعوة الناس؟

- الدعوة إلى اللّه عملية واقعية تتنوع وتختلف من شخص إلى آخر، أما على العموم فالرفق هو المطلوب في الدعوة ولكن بعض الناس يحتاجون إلى من يخوفهم، وعند الممات يحتاج المرء إلى من يطمئنه، بل اللّه عز وجل جعل من غايات إرسال الآيات «تخويف الناس».. ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ (الإسراء).

فالخوف من العذاب يجب أن يتولد داخل الإنسان.. وهذا الخوف يكون بذكر النار وأنواع العذاب في النار وشدة العذاب وأوصاف النار والآيات التي تصف أهل النار.. صراخهم، استغاثتهم، نداءاتهم.. اسمع قول اللّه عز وجل.. ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ (فاطر: ٣٧).. ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (الأعراف).

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (الزخرف).

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ (الحج).. وهكذا تتوالى الآيات في ذكر العذاب.

- إنها مشاهد مرعبة!

- وهذا هو المطلوب أن يخاف الإنسان.. وهذه مشاهد حقيقية لا شك

أنها كائنة يوم القيامة بل الله يذكرها أحياناً أنها فعلاً تحققت.. فلا شك ولا ريب.. وكل هذا العذاب لا ينافي رحمة الله.. «**وإن الله ادخر تسعة وتسعين جزءا من رحمته ليرحم عباده يوم القيامة**» (صحيح الجامع).. ولكن هؤلاء الناس لا يستحقون الرحمة.. باعترافهم هم.

نسأل الله العافية والنجاة من عذابه.

الشَّكور

بعد صلاة التراويح وكنا قد أديناها مع العشاء في أحد المساجد حرصاً على الصلاة خلف ذلك الإمام.. قررت وصاحبي أن نقضي ساعة أخرى نحتسي فيها المشروبات الساخنة والحلويات في أحد المقاهي الهادئة.. في الطريق..

ـ كلما سمعت هذه الآية.. تمنيت أن أكون من أهلها .. ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ .. وغاية أمنيتي المقطع الأخير.. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ (الإنسان).

ـ نعم.. لاشك المرء يتمنى ذلك..

ـ ولكن هل من أسماء الله (الشاكر).. أم (الشكور)؟!

ـ كلاهما ورد في كتاب الله.. يقول تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ (النساء). ويقول تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (التغابن) ويقول تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة).. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ (فاطر)..

قاطعني..

ـ وما المعنى الذي يليق بالله عز وجل أنه (يشكر)؟!

ـ (الشكر).. لغة هو الثناء على المحسن.. والاعتراف بالجميل.. وهذا ثابت في حق الله كما يليق بجلاله سبحانه.. فمِنْ شكره أن يثيب على العمل القليل الثواب العظيم وذلك فضل منه وإحسان.. وكذلك من شكره عز وجل لعباده أنه من تقرب إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً ومن ذكره في ملأ ذكره في ملأ خير منهم.. ومن أنفق نفقة طيبة قبلها ونماها وضاعفها أضعافا كثيرة وهذا كله من (شُكره) عز وجل لعباده. وكذلك من (شُكْره) سبحانه ثناؤه على أنبيائه ورسله وعباده الصالحين.. ومن (شُكره).. زيادة النعمة لمن شكر.. كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم).

ـ كم مرة ورد اسم (الشكور) في كتاب الله؟!

ـ ثمان مرات.. مقترن بـ(غفور).. (حليم).. (عليم).. هذا الذي يحضرني الآن..

ـ وهل يجوز أن نصف أحداً أنه (شكور)؟

ـ نعم.. فقد وصف الله نوحا عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإسراء).

ولكن الإسم في حق الله يليق بجلاله والاسم في حق العبد يليق بالعبودية.. وصِفَة (الشكر) من صفات الكمال التي ينبغي أن يتصف بها العبد كما جاء في الحديث «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» (صحيح مسند الإمام أحمد).. فالعبد يجب عليه أن يثني على من يحسن إليه

ويعترف بالجميل لمن يسديه له.. وإلا فإنه لا يؤدي حق الشكر لله كاملاً.. والمؤمن يشكر الله دائما لأنه يعلم يقيناً أن ما به من نعمة فمن الله.. بل ويعلم المؤمن أنه مقصر في مسألة شكر الله.. ولذلك يدعو دائما.. «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» (صحيح الترغيب والترهيب).. فهو يحتاج إلى عون الله ليؤدي واجب الشكر لله عز وجل.

وشُكر العبد لله يكون بالقلب.. إعترافا بالإحسان وأنه من الله عز وجل ويكون باللسان إقراراً وتذكيراً للنفس بأن النعمة من الله عز وجل.. ويكون بالعمل.. بصرف النعمة في رضا الله عز وجل.. وإذا شكر العبد ربه فإنه هو (المستفيد) من ذلك.. لأن الشكر عبادة قلبية.. تؤدي إلى دوام النعمة وزيادتها.. وعكس (الشكر).. (الكفر).. الذي يؤدي إلى زوال النعمة.. والعذاب يوم القيامة.

عندما يذكر الله.. شخصاً بعينه

ـ معظم آيات الله تذكر أوصافاً لفئات من الناس.. مثلاً يذكر الله المؤمنين فيصفهم.. ويذكر المحسنين ويصفهم.. ويذكر المصلين ويصفهم.. ويذكر أصحاب الشمال ويصفهم.. وهكذا.. فيسعى المؤمن أن ينضوي تحت إحدى هذه الفئات الصالحة.. ويحرص ألا يتصف بصفات الآخرين.. ولكن أحيانا يذكر الله شخصاً معيناً.. مثلا حديث أُبيّ عندما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أمره أن يقرأ عليه سورة البينة، فقال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ (البينة).. **قال أُبيّ: وسمَّاني لك؟ قال صلى الله عليه وسلم: «نعم».. فبكى أُبيّ..** (متفق عليه). فهذا الصحابي الجليل نال شرف أن يذكره الله تعالى باسمه، وكذلك حديث خديجة.. عندما أخبرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه بأمر الله وأقرأها السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب (لؤلؤ) لا صخب فيه ولا نصب.. (متفق عليه)

ـ ولكن هؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وأين نحن من هؤلاء حتى يذكر الله تعالى أحدنا باسمه..

كنت وصاحبي بعد صلاة المغرب ننتظر صلاة العشاء، وقد أخذ كل منا مصحفاً في الزاوية اليمنى من المسجد.

ـ بل يذكر الله من يستحق أن يذكر.. ولكن الفرق أنه في زمن النبي

صلى اللّه عليه وسلم كان الوحي يأتي النبي صلى اللّه عليه وسلم ليخبره عن بعض من يذكرهم اللّه، ولكن الآن لا سبيل للجزم بذلك، إلا أننا على يقين أن اللّه يذكر بعض الناس بأسمائهم..

ـ وكيف ذلك؟.. وما الدليل؟

ـ حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**إذا أحب الله عبداً نادي جبريل.. يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه.. فيحبه جبريل، وينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه.. فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض**».. (صحيح الجامع)

هذا الرجل ـ أو المرأة ـ يُنادى باسمه في السماء.. وإن كان لا يعلم.. والسبيل لنيل هذه المحبة من اللّه تعالي... هي كما ورد في الحديث القدسي.. «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه**» (البخاري).. فهذه إحدى السبل، لأن يذكر اللّه العبد باسمه.. وحديث آخر يبشر المؤمن أن اللّه يذكره، وهو الحديث القدسي: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**» (متفق عليه)...

قاطعني..

ـ ولكن أن يذكر اللّه العبد لا يعني أنه يذكر اسمه، وإنما يجزل له الثواب ويضاعف له الأجر.. ربما..

ـ هنا قضية في العقيدة.. وهي أنه عندما يرد الحديث «**إن الله يذكر**

فلاناً» فإننا عندما ننسب هذا الفعل لله (الذكر) نقول: الذكر معلوم.. والكيف مجهول.. فيذكره الله ذكرا يليق بالله عز وجل، وليس كذكر المخلوق.. ولا حاجة أن نصرف معنى الذكر إلى أي شيء آخر.. وفي هذا دافع قوي للمؤمن أن يذكر الله عز وجل ويجتهد في الأعمال التي تكسبه محبة الله عز وجل، حتى يكون من الذين يذكرهم الله عزوجل بخير.. والأمر باق إلى يوم القيامة ولا يتوقف حتى قيام الساعة.

الله ينظر إلى قلوبنا

ليلة السابع والعشرين من رمضان اكتظ المسجد بالمصلين فوجدها صاحبي فرصة لإلقاء إحدى خواطره الإيمانية بعد الركعات الأربع الأولى من صلاة القيام..

ذكَّر الناس بالمحافظة على الصلاة في وقتها وعدم التقاعس عن الفرائض والحرص على النوافل... ومزج حديثه بأحاديث عن عذاب الآخرة لمن أخَّر الصلاة عن وقتها...

بعد انتهاء الصلاة غادر معظم المصلين.. بقيت وصاحبي وثلاثة من خاصتنا.. واثنان كانا معتكفين منذ أيام..

ـ كأنك تقول للناس لا تحرصوا على صلاة القيام!!!

ـ مقابل أن يهملوا الفريضة.. نعم أقول لهم ذلك... والإشكال أن غالب الذين يقيمون ليلة السابع والعشرين يظنون أنهم قاموا ليلة القدر فغُفِرت ذنوبهم وحُطت سيئاتهم إلى العام القادم مهما أتوا!! هؤلاء الناس يعتقدون أن التمسح الظاهري بالدين يكفي.. وغفلوا عن أن القلوب هي الغاية!!!

ـ ماذا تعني أن (القلوب هي الغاية)؟!

ـ أعني ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم القلب هو المضغة التي «**إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**» (متفق عليه)..

وكذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم مشيراً إلى صدره: «**التقوى ها هنا التقوى ها هنا**» (سنن الترمذي).. وقوله صلى اللّه عليه وسلم: «**إن الله لا ينظر إلى أشكالكم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» (صحيح مسلم) إن القلب هو محل القصد والنية والتقوى والخشية والرجاء والتوكل وأكثر ما يرضي اللّه ويغضبه!!

والعمل الصالح لا يكون صالحا إلا بالمتابعة في شكله الظاهري والإخلاص في النية... بل ذات العمل الصالح يتفاوت أجره على قدر حضور القلب وانشغاله.

نهضنا في طريقنا للخروج من المسجد.. تابعت حديثي..

- إن المرء لو تفكر في الآيات والأحاديث المتعلقة بصلاح القلوب لوجد أن اللّه يرضى عن الإنسان ويغضب بما يكون في قلبه.. تفضل على المؤمنين ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ٧).. و﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ (المجادلة: ٢٢).. و﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: ٣). أما الكافرون ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (النحل: ١٠٨).. و﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة: ٧) و﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ (البقرة: ٨٨).. و﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ (فصلت: ٥).. و﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (البقر: ١٠).. و﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ (آل عمران: ٧).. و﴿قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣).. و﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (التوبة: ٤٥).. و﴿نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٧).. و﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ (التوبة: ١٢٧). و﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ (النحل: ٢٢).. و﴿لَاهِيَةً

﴿قُلُوبُهُمۡۗ﴾ (الأنبياء: ٣).. و﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ (الصف: ٥).. و﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ (المطففين: ١٤)..

وهكذا يتعامل اللّه مع القلوب لا الأبدان، وبيَّن تبارك وتعالى أن تعظيم أوامر اللّه واتباع الحق، إنما يدل على التقوى في القلب.. ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ (الحج).

ـ هذه قاعدة عظيمة.. صلاح القلب يقتضي صلاح البدن، وصلاح البدن لا يقتضي صلاح القلب.

ـ نعم.. وبعضهم يقول.. صلاح الباطن يُصلح الظاهر وصلاح الظاهر لا يُصلح الباطن.. لذا كان علاج أمراض القلوب أولى من علاج ظاهر البدن.

بلغنا مفترق طريقنا..

ـ أراك في صلاة الفجر إن شاء اللّه..

ـ إن شاء اللّه ..وإن تأخرت عن موعدي اليومي لا تتأخر عن الاتصال بي.

ـ أظنك أنت الذي ستتصل بي فإني في غاية التعب اليوم.

ما أوجبه الله على نفسه

كثيراً ما ينتقدني لتحدثي في العقيدة دون تردد أو شك..

ـ بصراحة إني أخاف أن أتحدث عن صفات الله عز وجل، وكذلك لا أحب أن أتكلم عن أمور الغيب خشية الخطأ.. وتعلم أن الخطأ في العقيدة ليس كالخطأ في غيرها..

ـ ولماذا تخاف الخطأ إذا كنت تتحدث عن يقين وبعلم قاله العلماء من سلف هذه الأمة وخلفها؟!.. بل إن الحديث عن العقيدة من أعظم الأحاديث أجراً ومن أشرف العلوم قدراً.. فما عليك إلا أن تتكلم حيث يجب الكلام، وتسكت حيث يجب السكوت..

ـ لا أجرؤ على ذلك.. مثلاً.. سمعت أحدهم يتكلم في الإذاعة عن الأمور التي أوجبها الله على نفسه. إني أستعظم أن أقول إن شيئا يجب على الله!!

ـ إذا قال الله ذلك ألا تقوله إخبارا عن الله؟!

سكت.. تابعت شرحي..

مثلا.. يقول الله عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤) فإننا نقول: إن الله كتب على نفسه الرحمة.. وكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فيَّ**» (صحيح الجامع) فأوجب على نفسه محبة

من يتصف بهذه الصفة.. وكذلك في الحديث القدسي.. «**إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا**» (صحيح مسلم).. فالله عز وجل حرم على نفسه الظلم، فإنه لا يظلم مثقال ذرة.. لا في نقصان أجر، ولا في زيادة وزر.. كل هذه النصوص وغيرها تبين أن الله عز وجل أوجب على نفسه أشياء وحرم على نفسه أشياء بطريقة تليق بجلاله عز وجل وله الحكم سبحانه وتعالى.. الحكم المطلق.. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأنبياء).. ولكن يخشى المرء أن يقول أحدهم: (يجب على الله أن يحبني لأني أحب أخي في الله)!! هذا الذي لايجوز.. بل وفيه تألٍّ على الله.. ومثال ذلك.. إن الله وصف أهل الجنة في سور وآيات كثيرة.. مثلا «سورة المؤمنون» بعد أن ذكر صفاتهم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون).. فهل يستطيع أحد أن يقول: أنا حققت هذه الصفات فأنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس؟كلا لا يقول ذلك مسلم يعلم شريعة الله عز وجل.. وهذا الذي أحاول أن أبيّنه.. إن بعض الناس قد يتمادى.. من واجبك أن تبين صفات الله وما أخبر الله عن نفسه عز وجل، وكذلك تبين الحدود التي يجب أن يتوقف عندها الإنسان حتى لا يقع في المحظور.. أما أن تمتنع عن بيان أشرف العلوم لأجل تصرفات بعض الناس، فهذا خطأ..

- أخشى ألا يفهم الناس بعض التفصيل الذي يجب بيانه..

.هذه خشية في غير محلها اجتهد في بيان الضوابط الشرعية للإيمان

بصفات اللّه عز وجل.. ووضّح القواعد الشرعية في ذلك وستجد أن الناس تتعلم العلم الصحيح.. مثلا عندما تذكر حديث معاذ.. «**حق الله على العباد، وحق العباد على الله**» (متفق عليه).

- نعم هذا الحديث مثلاً.. ألا يمكن أن يسيء الناس فهمه؟!

- كلا.. هذا الحديث يبين «**أن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على اللّه ألا يعذبهم إن هم فعلوا ذلك**» (متفق عليه)، فحق الخالق على المخلوق حق الملك على العبد وهو حق اللّه عز وجل، لأنه اللّه الخالق البارئ.. وله الحكم المطلق ولا يسأل عما يأمر ويطلب ويوجِب على عبيده.. أما حق العبد على اللّه فهو تفضل من اللّه الرحيم العدل الحق، الذي لا يظلم مثقال ذرة.. وهو سبحانه وتعالى الذي أوجبه على نفسه ولم يوجبه أحد عليه، ولا يملك أحد أن يوجب عليه شيئا سبحانه وتعالى.. فنقول للناس ما قاله اللّه عن نفسه ونبين لهم، لأن في ذلك العقيدة السليمة التي تورث الإيمان الصحيح والعبادة الصحيحة والسلوك القويم.

لا تجرب الرب عز وجل!

كنا في مجلس جمعَ خليطاً تتفاوت ثقافاتهم وتتقارب أعمارهم.. كان الحديث حول فائدة قراءة القرآن والدعاء للمريض (الرُّقية)..

ـ على أية حال.. الدعاء إن لم ينفع لا يضر!!؟

إعترضت على هذه العبارة..

ـ هذا مبدأ غير صحيح في التعامل مع اللّه عز وجل.

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أن المسلم يقرأ القرآن ويدعو اللّه عز وجل وهو متيقن غير شاك بأن للدعاء فائدة وفي القرآن نفع، وإلا فلا قيمة للدعاء.

ـ أظهر معظم الجلوس انتباههم طالبين مزيداً من التوضيح.

ـ من عقيدتنا أن المسلم (لا يُجرِّب اللّه) بمعنى.. يختبر القواعد التي ذكرها اللّه لنا في كتابه.. فيرتكب المعصية.. ليجرِّب هل يعاقبه اللّه بضر أو يمنع عنه نفع.. أو يأتي بالطاعات.. يجرب.. هل يزيده اللّه نعمة أو يدفع عنه بلاء.. هذا الأسلوب الإختباري التجريبي لا يجوز التعامل به مع اللّه عز وجل.. بل هو من الأساليب التي نسبها اللّه للكافرين وذمها.. مثل قوله: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنفال).

وذلك أن إكرام اللّه للعبد في الدنيا أو منعه لا يقوم على أساس

الطاعات والمعاصي.. وإنما على أساس الابتلاء.. والمؤمن على يقين أنه يجب عليه الإلتزام بأوامر الله والامتناع عن النواهي مهما نزل به من ضيق في العيش أو بلاء في البدن.. فكله ابتلاء من الله..

قاطعني أحدهم..

- كأننا خرجنا عن الموضوع.. نحن نتكلم عن الدعاء في المرض وفائدة القرآن..

- من آداب الدعاء.. أن يدعو الإنسان وهو موقِن بالإجابة.. ومتى شك المسلم أن الله يسمع الدعاء ويستجيب لم ينفعه دعاؤه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ (غافر: ٦٠).. ولذلك أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن دعاء المسلم لأخيه في الغيب مستجاب.. ودعاء المسلم لأخيه المريض بالأدعية المأثورة مستجاب، كما في الحديث «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ما من مسلم يعود مسلماً لم يحضر أجله فيقول سبع مرات إلا عوفي**» (صحيح الجامع).

قاطعني مرة أخرى..

- ولكن التجربة لا تثبت ذلك.. أحدنا يزور المريض ويدعو بهذا الدعاء، وربما يتوفى المريض..

– وفي رواية «**إلا أن يكون قد حضر أجله**» أبو داود والترمذي.

- هنا الإشكال.. إن أحدنا يدعو الدعاء لفظا.. دون أن يحقق شروط الدعاء.. وموانع الدعاء كثيرة منها في الداعي وفي الدعاء وفي المدعو.

ـ هذا تفصيل لا يعلمه كثير منا؟

ـ نعم.. ويمكن بيانه ولكن ليس في هذا الموضع.. هنا يجب أن أؤكد على قضية مهمة في العقيدة وهي (أن المؤمن لا يجرب ربه عز وجل).. يجب أن يثق بالله دون أدنى شك ويحسن الظن بالله.. بل ويطمئن إلى جنب الله أكثر مما يطمئن إلى قدرته المادية وقوته الذاتية.. وإلا فإن هذا الإنسان لم يحقق جزءا مهما في العقيدة.

ـ وماذا إذا لم يحقق المسلم هذا الجانب؟!

ـ الناس يتفاوتون في إيمانهم بالله ويقينهم تفاوتاً كبيراً كما بين السماء والأرض وهذا الذي يميز بعضهم عن بعض لا مجرد الأعمال والعبادات الجسدية الظاهرة.. هذه مطلوبة ولابد منها ولكن الإيمان واليقين بالله هو الذي يجعل بعضنا أكرم عند الله من بعض!!

عندما يقسم الله!

مساء الخميس أو ليلة الجمعة... ينتابني شعور بالحزن... الوحدة.. الغربة.. الجميع يلهث تلك الليلة.. فوضى. زحام .. توتر.. في كل مكان... لا أدري ما المتعة التي يتحصلها هؤلاء البشر.. وسط الزحام والانتظار لساعات.. أمام اشارات المرور.. أمام المطاعم... في مواقف السيارات.. في كل مكان.

عادتي.. الإنزواء في المسجد.. أو المشي رياضة مع صاحبي..

ـ صديقي في العمل يكثر الحلف.. لا يمكن أن يخبر عن شيء إلا حالفاً... أخبرناه أن لا داعي للحلف.. فإننا نصدقه فيما يخبر.. دون فائدة.

إن الحلف من الأمور التي يتساهل بها الناس.. حتى الصغار صاروا يعتقدون أن كفارة اليمين صيام ثلاثة أيام!!

ـ أليست كذلك؟

ـ أولاً.. اليمين التي عليها كفارة هي اليمين الصحيحة بالله أو بصفة من صفاته عز وجل على أمر في المستقبل.. إذا لم يتحقق يكفِّر عن يمينه.. والكفارة عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن لم يستطع أحد هذه الثلاثة صيام ثلاثة أيام... أما اليمين على أمر قد مضى... إن كان كذباً فهي اليمين الغموس وهي من الكبائر التي لاتزول إلا بالتوبة وإن كانت اليمين حقاً فلا كفارة عليه.

ـ هذه معلومات تفصيلية لم تخطر على بالي!!

ـ تعلم أنه لا يجوز أن يحلف الإنسان بشيء من المخلوقات لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» (صحيح الجامع).

ـ نعم أعلم ذلك.. ولكن الله يقسم بشيء من مخلوقاته أليس كذلك؟

ـ بلى.. الله تبارك وتعالى... يقسم بما شاء.. يقسم بذاته.. أو بأي شيء يشاء تبارك وتعالى... وورد في القران أن الله أقسم.. ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ (الشمس).. كل هذه الأقسام سبعة مختلفة على قضية واحدة.. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس).. عجيب أمر الإنسان.. يقسم الرب تبارك وتعالى.. مرات.. أن الفلاح بتزكية النفوس وأن الخائب هو الذي يدنس نفسه بالمعاصي.. وبعد ذلك نلهث إلى المعاصي.

ـ وما العبرة من الأقسام التي يقسم بها الله تبارك وتعالى؟

ـ لاشك أن قسم الرب عز وجل بمخلوقات من مخلوقاته يدل على عظم هذه المخلوقات ومكانتها وأهميتها.. ثم الأهم أن الأمر المقسم عليه أمر عظيم لاشك فيه.. ولقد أقسم الله في القرآن على أمور كثيرة منها.. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ (الطور) .. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ (الليل).. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾ (البلد).. وأمور أخرى كثيرة.

ان أحدنا ليستحي أن يقسم اللّه على أمر ثم نتصرف كأننا لم نسمع قسم الرب عز وجل.. ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)﴾ (القيامة).. نسأل اللّه العافية.

الحمد لله

كنت وصاحبي في طريقنا إلى منطقة صحراوية حيث أقام بعض الشباب مخيماً ربيعياً لقضاء يوم معهم ابتداء من صلاة الظهر..

ـ أراك تكثر من (الحمد لله)..

ـ هذه كلمة عظيمة لا يعرف قدرها كثير من الناس.. لو تفكر فيها المرء لما تركها.. الحمد.. هو الثناء.. يقولها العبد.. في بداية الفاتحة.. التي هي أعظم سورة في القرآن.. والألف واللام تفيد الاستغراق.. أي كل (حمد) لله عز وجل.. كل أنواع الحمد الذي يستحقه الله عز وجل..

ـ أنا أعلم أن المؤمن إذا أراد الدعاء يبدأ بالحمد.. الذي هو الثناء على الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو..

ـ هذا صحيح.. وهذه فضيلة واحدة (للحمد).. أما عظمها.. فكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**الحمد لله تملأ الميزان**» (صحيح الجامع).. و(الحمد) ثناء على الله يستحقه في جميع الأحوال.. في الأولى والآخرة.. حتى إذا قضى الله مصيبة على عبده فإنه يستحق الحمد ويجزي على ذلك كما في حديث من قبض ولده (**يسأل الله ملائكته وهو أعلم بهم.. ماذا قال عبدي؟ قالوا.. حمدك واسترجع.. فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة سموه بيت الحمد**).. (السلسلة الصحيحة).

ـ هذا في باب التعامل مع الله فكيف فيما يحتاجه العبد في الدنيا؟!

ـ (الحمد للّه).. إذا قالها العبد عندما يرى مُبتلى.. فإن اللّه يحفظه من هذا البلاء.. «**يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به سواي**» (السلسلة الصحيحة).. ويقول بعد طعامه.. «**الحمد لله الذي أطعمني وسقاني من غير حول ولا قوة**» (صحيح الترغيب والترهيب).. «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا**» (صحيح البخاري) إذا استيقظ من نومه.. كتبها اللّه له..

ـ وماذا عن العقيدة.. أعني تأثير هذه الكلمة في عقيدة الإنسان؟

ـ هذه الكلمة تذكر الإنسان بالثناء على اللّه دائما فلا يتسخط ولا يضجر ولا يعترض ولا يشعر أن اللّه (قصّر معه).. بل هذه الكلمة تملأ قلب المؤمن بالطمأنينة والإستقرار والسكينة أن اللّه أسبغ عليه النعم، ولن يظلمه مثقال ذرة، وأن اللّه أرأف بعبده منه بنفسه.. فتورث في قلب العبد الإطمئنان إلى اللّه عز وجل.. والركون إليه والثقة به.. في جميع الأحوال.. ويتخلص الإنسان من الإغترار بنفسه.. وإرجاع النعم إلى حوله وقوته وذكائه.. فيتعلق قلبه باللّه في جميع أحواله في السراء والضراء.. يحمد اللّه على كل حال.. فإن كانت نعمة شكر، وإن كانت مصيبة صبر.. وهكذا هو المؤمن.. وآخر ما يقال بعدما ينتهي كل شيء يوم القيامة ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (الزمر)..

في ذمة الله

صاحبي دقيق الملاحظة كثير الإستفسار.. يسأل عن أمور لاتخطر على بال.. ذات مرة سأل: إذا مات الإنسان وتأخر دفنه هل يتأخر حسابه حتى يدفن؟ أم أن حساب الميت يبدأ بعد زمن معين من الوفاة بغض النظر عن دفنه؟... أم حسب حالة الميت بحيث يكون لكل ميت ساعة يبدأ حسابه فيها؟!... وهكذا أسئلته... دخلت المسجد فإذا صاحبي واقف يقرأ صحيفة الحائط المعلقة على لوحة الإعلانات في المسجد... بانتظار الأذان.. أتيته.. بعد السلام أخذ بيدي وأشار إلى معلقة كتب عليها.. «**من صلى الفجر فهو في ذمة الله**» (صحيح الجامع)..

ـ ما معنى (في ذمة الله)؟

ـ (الذمة).. في اللغة... العهد ـ الأمان... الكفالة ـ الحق ـ الحرمة... تقول مثلا.. (لك في ذمتي كذا دينار).. أي في حقي.. ومالي.

والمعنى أن الذي يصلي الفجر حاضراً فهو في أمان الله وكفالته، وكلما كان العمل أكمل كان الأجر أعظم.. فالذي يدرك تكبيرة الإحرام أكمل من الذي يدخل قبل السلام.. ومن كان في (ذمة الله) فإن الله لن يضيعه ولن يخذله.

ـ والذي يصلي الفجر.. ولكن منفرداً بعد طلوع الشمس!

ـ هذا .. إن كان معذوراً فقد سقط عنه الفرض ولاحساب عليه.. أما إن كان مفرّطاً.. بمعنى أن يتعود ألا يستيقظ للفجر ولا يهتم أن يصلي

الفجر في وقتها ولا يتخذ الأسباب للإستيقاظ.. فإنه آثم يحاسب على تقصيره يوم القيامة.. وفي حديث جبريل.. عندما سأله الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن ذلك الرجل المستلقي وعلى رأسه رجل يرضخ رأسه بحجارة كلما تدحرجت أخذها ورضخه بها مرة أخرى قال جبريل.. «**ذلك الذي ينام عن الصلاة**» (أصله متفق عليه)... فلا يصليها إلا بعد وقتها متعمداً.

ـ و(أهل الذمة).. مِنْ هذا المعنى؟!

ـ نعم... أهل الذمة.. أي أهل العهد.. وهم اليهود والنصارى المعاهدون وكذلك من جرى مجراهم.. كالمجوس مثلا في بعض المعاملات و(الذمِّى).. من أُعطي عهدا.

ـ وما عكس أن يكون الإنسان في (ذمة اللّه)؟!

دخل المؤذن المسجد.. ألقى التحية.. أخذ المذياع يستمع القرآن بانتظار إعلان موعد الأذن...

ـ عكس أن يكون الإنسان في (ذمة اللّه).... أن (تبرأ منه ذمة اللّه) ومن برئت منه ذمة اللّه.. فلا عهد له عند اللّه ولا أمان ولا معية من اللّه تحفظه من الأعداء والشر والشياطين. كما في الحديث «**من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة اللّه**» (صحيح الترغيب والترهيب).

ـ وما معنى «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم**»؟! (أبوداود والنسائي – صححه الألباني) انطلق الأذان فلم أرد على

صاحبي حتى انتهى وأجبناه. ثم دعونا للرسول صلى اللّه عليه وسلم بالوسيلة والفضيلة والدرجة العالية والمقام المحمود.

ـ معنى الحديث.. (إن المسلمين سواسية).. لا فرق بين غني وفقير وشريف ووضيع.. الكل يحفظ عهده مع الآخر مهما علا أو صغر، ومن قتل مسلماً وجب عليه القصاص.. دون النظر إلى أصله أو عائلته.. ومن أعطى عهداً وجب على الجميع التزامه.

إذا أحب الله عبداً..

من صفات الله عز وجل أنه يحب ويسخط.. ونقول في حب الله لعباده أنه حب يليق بجلاله سبحانه وتعالى وأنه لا يشبه حب المخلوقين.

ـ وكيف يصل المؤمن إلى أن يكون من الذين يحبهم الله؟!

ـ لقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه أنه سبحانه ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ (البقرة).. و﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) و﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة) و﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (آل عمران) و﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ (آل عمران) و﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران) و﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (المائدة) وجمع هذه الصفات كلها في أمر واحد فقال عز وجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران) أي أن المؤمن على حسب تحقيقه لهذه الصفات ينال من حب الله تعالى له.. ولا شك أن الله يحب الناس على قدر تقواهم.. فحبه عز وجل لعباده ليس على درجة واحدة.. بل بعضهم أحب إليه من بعض.

ـ وهل ينبغي على أحدنا أن يحرص أن ينجو من عذاب الله أو أن ينال حب الله؟

ـ وهل من تناقض؟! كلّ.. واحد منا تختلف حاله عن الآخر.. بل الفرد منا يتقلب بين الخوف من عذاب الله وبين رجاء نيل رضا الله وبالتالي حب الله له.. ولكن دعني أذكر هنا.. أنه لابد من تحقيق التوحيد

الصحيح في العقيدة والأركان الصحيحة في العبادة حتى يتأهل المرء أن يسلك الطريق لنيل محبة اللّه..

ـ ماذا تعني؟

ـ إسمع حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم عن اللّه عز وجل في الحديث القدسي «**ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**» (البخاري).. فالمؤمن يجب أن يحقق الأركان في العقيدة والعبادة ولا يقع فيما ينقض ذلك حتى يبدأ الطريق إلى محبة اللّه.. مثلاً.. شخص لا يصلي.. هذا لن ينال محبة اللّه وإن كان من «الصابرين» على المصائب.. و«المحسنين» إلى الفقراء.. وذلك أنه لم يأت بركن الإسلام الأول وعموده ـ ونيل محبة اللّه ليست بالكلام والأماني وإنما منهج واضح لمن أراد أن يسلكه.

ـ وهل إذا أحب اللّه العبد يظهر عليه شيء.. نور مثلاً.. أو.. يكون مستجاب للدعوة؟!

ـ إن محبة اللّه غاية بحد ذاتها.. وتظهر آثار محبة اللّه للعبد يوم القيامة جلية.. فقد أوجب اللّه محبته «**للمتحابين فيه والمتزاورين فيه**» (صحيح الترغيب والترهيب).. فيجعلهم على منابر من نور يوم القيامة.. أما في الدنيا فقد ينزل البلاء وتشتد المصائب على عبد يحبه اللّه.. كما قال الرسول «صلى اللّه عليه وسلم».. «**إذا أحب اللّه قوما ابتلاهم**» (السلسلة الصحيحة) .. فلا يظن أحد أنه إذا سعى لنيل محبة اللّه أنه سينال سعة الرزق وبركة الأبناء وزيادة الأموال ووفرة الصحة.. فالدنيا

ليست دار جزاء.. بل هي دار ابتلاء.. والذين يحبهم الله أكثر عرضة للبلاء من غيرهم.. ولكن العبرة في الآخرة.. فالذين يحبهم الله يأمنون عذاب القبر.. وفزعة البعث.. وضيق المحشر.. وهول الصراط.. ويكفي أحدنا حديث النبي «**المرء مع من أحب**» (متفق عليه).. وذلك يوم القيامة..

- إذن كيف يقيس المؤمن مدى محبة الله له؟

- الأمر واضح.. على قدر اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم تكون محبة الله للعبد.. على قدر التقوى تكون محبة الله للعبد.. على قدر الالتزام بالنوافل تكون محبة الله للعبد.. وإذا أحب الله عبدا - كما في الحديث - «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**» أي لا يسمع إلا ما يرضي الله ولا ينظر إلا إلى ما يرضي الله ولا يبطش إلا في الله ولا يمشي إلا لله.. ونهاية الحديث «**ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه**» (صحيح البخاري).

إن بطش ربك لشديد..

لا شك أن رحمة الله واسعة ورحمته سبقت عذابه..

فهو الرحمن الرحيم.. وهو أرحم الراحمين.. ومن رحمته بخلقه أن أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب وبيّن لهم طريق الهدى والنجاة وخوفهم وأنذرهم وحذرهم.. وأقسم لهم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾﴾ (الطور).. ووصف عذابه بأنه (أليم).. (شديد).. (مقيم).. (الأكبر).. (مهين).. (عظيم).. (غليظ)..

فلا ينبغي لأحد أن يتّكلَ على رحمة الله ولا يخاف عذابه.

ـ هل رأيت كيف تفاعل إمامنا مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (البروج) رددها كم مرة؟!

ـ ربما خمس مرات أو ست.. وحق أن يرددها.. إنها آية تخيف من كان له قلب..

ـ ما معنى (بطش)؟!

ـ لغة (بَطَش).. أخذ بعنف وقوة.. فإن الله يأخذ أعداءه بقوة وعنف يوم القيامة ولا يرون شيئا من رحمته.. ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ (الحاقة).. ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (الدخان)..

﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾﴾ (الرحمن).. ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ (القمر).. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ (النبأ).. كل هذه الآيات وغيرها تبين أن عذاب الله شديد وأن الله يبطش بالكافرين بطشاً شديداً يوم القيامة فيعذب الكافرين عذابا لا هوادة فيه ولا رحمة ولا شفقة.. ﴿جزاء وفاقا﴾ (النبأ).. لذا كان دعاء الأنبياء جميعاً يوم القيامة «**يارب سلّم يا رب سلّم**» (صحيح الجامع)..

- ولكن هذا للكافرين.. أما المسلمون.. فإنهم يكونون في أمان يوم القيامة.. كما قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (النمل) ..

- لقد ذكر الله صفات هؤلاء.. الذين سبقت لهم من الله الحسنى.. ولكن لا يَأْمن عذاب الله أحدٌ إلا بعد أن يقال به.. (إلى الجنة بلا عذاب).. أهوال يمر بها المؤمن وربما يلحقه شيء من عذاب النار إن لم يغفر الله ذنوبه التي لم يتب منها.. رغم أن أحدنا يرجو أن ينال رحمة الله فإنه بلا شك لا يأمن عذابه..

أشهد أن محمداً رسول الله

ـ وهل يتردد أحد في شهادة أن محمداً رسول الله؟ قالها واثقاً.

ـ نظرياً، كلا، ولكن ربما يقع كثيرون فيما يخالف هذه الشهادة.

ـ وما الذي يمكن أن يناقض هذه الشهادة؟

ـ أمور كثيرة، منها الإبتداع، أي التقرب إلى الله بما لم يشرع.

ـ ولكن هناك البدعة الحسنة.. أليس كذلك؟

ـ ماذا تعني بالبدعة الحسنة؟

ـ ألم يقل عمر بن الخطاب عندما جمع الناس على إمام واحد في صلاة الليل «نعمة البدعة هذه!»..

ـ وهل كان الصحابة موجودين؟

إستغرب سؤالي.. ولكن أجاب..

ـ نعم كانوا موجودين.

ـ وهل أنكروا عمل عمر بن الخطاب أم أقروه عليه؟

ـ بل أقروه عليه..

ـ إذن كان هناك إجماع من الصحابة على سنة أحياها الخليفة الراشد الثاني.. والرسول صلى الله عليه وسلم قال «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» (صحيح الترغيب والترهيب).. أليس كذلك.

- ولماذا سماها عمر بن الخطاب «بدعة حسنة»؟

- هذا المعنى اللغوي للكلمة ولكن معلوم أنه إذا كان للكلمة معنى شرعي، وآخر لغوي، وثالث عرفي، فإن المعنى الشرعي هو المقدَّم مع مرور الزمن، والرسول صلى اللّه عليه وسلم استخدم المعنى الشرعي للبدعة فكان يقول في كل خطبة «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» (صحيح أحمد وأبو داود).. فالمسلم يبتعد عن البدع بل ويحاربها، لأنها تخدش شهادة أن محمداً رسول اللّه.

كنت وصاحبي نتنزه على شاطئ البحر عصر الجمعة التي تناول خطيبنا فيها موضوع بدعة المولد النبوي، وأتى على بعض الشبه التي يثيرها الداعون للاحتفال بالمولد.

- أتدري ما الذي أعجبني في خطبة اليوم؟

- ماذا؟

- عندما أورد الشيخ حديث أبي قتادة الأنصاري عندما سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن صيام الإثنين فقال «**يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه**» (صحيح مسلم).. فالتمييز كان ليوم الإثنين وليس للثاني عشر من ربيع الأول كتاريخ.. وذلك أن ليوم الإثنين من كل أسبوع فضائل، منها أن الأعمال ترفع فيه، وولد الرسول صلى اللّه عليه وسلم فيه، وأنزل عليه فيه.

- نعم كانت تلك نقطة موفقة، وأيضاً استدلال الشيخ بحديث الذين

يُطردون عن حوض النبي صلى اللّه عليه وسلم يوم القيامة بأنهم أصحاب البدع، هذه كانت إشارة قوية إلى شؤم البدعة وخطورتها على المسلم يوم القيامة.

ـ وكيف يمكن للرجل العامي أن يجتنب البدع وهو يرى من يثق بعلمهم وإيمانهم يحتلفون بالمولد ويرددون الذكر الجماعي، ويتحلقون حول أحدهم يرددون أشعاراً في حب النبي صلى اللّه عليه وسلم يصحبهم الدف.. وكان أبوه يفعل ذلك وجده من قبله، والدنيا كلها ـ في نظره ـ تحتفل بمولد النبي صلى اللّه عليه وسلم بهذه الطريقة.. كيف لهذا الرجل أن يعرف خطورة هذا الأمر؟

ـ المرء يجب أن يتفقه في دينه، ويتعلم أحكام الشريعة، ويبذل الجهد والوقت في معرفة الصحيح، لأنها مسؤولية فردية أمام اللّه، وسيحاسبنا اللّه على أعمالنا، فالحرص على الدين ينبغي أن يغلب الحرص على تعلم قوانين البورصة والأسهم والعقار، وغير ذلك من أمور الدنيا.

الرسول صلى الله عليه وسلم.. قبل البعثة

إقترب من مجلسي بعد الصلاة.. ومن عادتي أن أبقى في مكاني حتى ينصرف معظم المصلين..

- هل يجوز أن نقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم.. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

- نعم يجوز ذلك من باب توقير الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته.. ولقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» (السلسلة الصحيحة).. ولكن لا نرفع بهذه العبارة ولا بغيرها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقام الألوهية.. كما حصل مع ذلك الأعرابي الذي قال.. (**ما شاء الله وشئت يا محمد**).. فنهاه الرسول صلى الله عليه وسلم.. وقال له: «**أجعلتني لله ندا؟! قل ما شاء الله وحده**» (صححه الألباني)..

- وهل يجوز أن نقول هذه الصيغة أعني (سيدنا محمد) في التشهد؟!

- الأوّلى بالتشهد الإلتزام بالصيغ الثابتة.. ولكن بعض العامة يبالغ فيما يظنه حُباً للرسول صلى الله عليه وسلم.. فيرفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقام لا يليق إلا بالله.. كما فعلت النصارى بعيسى بن مريم.. ونحن منهيون عن ذلك صراحة.. وكذلك لا ينبغي أن نتعامل مع الرسول صلى الله عليه وسلم كما نتعامل مع غيره من البشر، فنذكر اسمه دون أن نصلي عليه، ونقرأ حديثه وكأننا نقرأ رواية أو قصة أو

كتاب تاريخ.. كلا.. فكلام النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله والصلاة عليه عبادة من أفضل الأذكار..

- وماذا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.. منذ ولادته وحتى بعثته.. فقد قرأت أنه حتى قبل بعثته كان يتصرف كنبي صلى الله عليه وسلم؟!

- لقد وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فقال في سورة يوسف.. ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (يوسف).. ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (القصص).. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الضحى).. فالرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم أنه سيبعث رسولاً للعالمين.. وما كان يأمل ذلك ولا يتوقعه.. وكان صلى الله عليه وسلم يبحث عن الحق.. ومع ذلك كان ملتزماً بالأخلاق الفاضلة الحميدة من الأمانة والصدق وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج.. ولكن لم يخطر بباله أنه سيتلقى وحياً من السماء وسيُكلف برسالة للثقلين وسيكون خاتم النبيين..

- ولكن بعض المفسرين يرى أن هذه الآيات لا تحمل هذا المعنى؟

- لقد تكلف بعض الناس وحمّلوا القرآن ما لا ينبغي لأجل أن ينفوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفه بأنه كان من (الغافلين) أو (ضالاً) قبل البعثة.. وظنوا أن في هذين الوصفين انتقاصاً للنبي صلى الله عليه

وسلم.. وهذا خطأ.. لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم حقاً لم يكن يعلم أنه سيبعث.. لقد رأى بعض الناس علامات النبوة عليه.. ولكن مسألة الرسالة مسألة عظيمة وعقيدة راسخة لا يمكن الإشارة إليها بمجرد علامات.. فعندما يصف اللّه رسوله بأنه كان قبل البعثة من (الغافلين) أو (ضالاً).. فذلك من باب بيان نعمته عز وجل على رسوله صلى اللّه عليه وسلم.. فالفضل العظيم للّه عز وجل بأن اختاره ليكون أشرف خلقه وسيد الناس أجمعين.. ولا انتقاص للنبي صلى اللّه عليه وسلم بهذين الوصفين قبل الرسالة.. فهذا نبي اللّه موسى عليه السلام.. عاش عُمُراً مع بني إسرائيل قبل أن يبعث.. وقتل منهم نفساً.. وهرب خائفاً.. وذلك قبل الرسالة.. و(الغفلة) في حق النبي قبل الرسالة هي عدم العلم.. بما سيأتيه.. وأنه كان (ضالا) قبل الرسالة ليس بمعنى أنه وقع منه ما يقع من عامة (الضالين) من شرب خمر وزنى وغير ذلك من الفواحش حاشا للّه.. فالرسل جميعاً معصومون عن الفواحش.. حتى قبل الرسالة.. ولكن من باب (عدم معرفة الحق).. وعدم اليقين بالطريقة الموصلة إلى رضى اللّه عز وجل.. ولا يُنقص الرسول صلى اللّه عليه وسلم ذلك أبداً.. بل ذلك أبلغ في تمام نعمة اللّه عليه.. كما أنه لا يعيبه أنه لم يقرأ ولم يكتب حتى بعد الرسالة.. بل يزيد من معجزاته.. وهذا دون شك خاص به صلى اللّه عليه وسلم وليس لغيره من البشر.

وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يضر ولا ينفع!

أهم قضية جاء بها الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم وجميع الرسل من قبله هي «التوحيد».. وعندما يلخص اللّٰه ـ عز وجل ـ رسالات جميع الأنبياء يقول ـ عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنبياء).. ولذلك أوجبُ ما ينبغي أن يتعلمه كل مسلم «التوحيد الصحيح» ويبذل ما يملك من جهد ذهني وقلبي وبدني ليصل إلى هذه الغاية.

ـ بصراحة أراك تتشدد في مسألة التوحيد.

هكذا علق صاحبي على حديثي تجاه ما يقع فيه المسلمون من قضايا تخدش التوحيد بل وتنقضه أحيانا.

ـ هل تعلم أن الخطأ في التوحيد ليس كالخطأ في الصلاة التي هي عماد الدين، بعض الأخطاء في التوحيد تخرج المرء من الإسلام إلى الكفر، وإن كان يصلي ويصوم، أما إذا كان التوحيد صحيحاً ولم يقع في الشرك، فإنه يبقى مسلماً.. وإن وقع في كبائر الذنوب.

لم يجب صاحبي.. تابعت حديثي:

ـ دعني أعطيك مثالا: ماذا لو قلت لك إن الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم لا يضر ولا ينفع ولا يهدي ولا يشفع.

إلتفت إليّ مستنكراً مستغرباً، كأنني تجرأت على مقام الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم فتابعت.

ـ هذا ما قاله اللّٰه عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (يونس)..

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القصص).. وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) هذه القضايا وأخرى كالمغفرة والجنة والنار لا يملكها أحد إلا الله.. ولا تكون لأحد إلا بإذن الله، فإذا أراد أحد أن ينال شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يأتي بالأسباب لنيل الشفاعة ويدعو الله أن يرزقه شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة.. قاطعني:

ـ وما الفرق.. إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيشفع بإذن الله.. فكل شيء بإذن الله؟!

ـ الفرق.. كالفرق بين الإسلام والكفر، والتوحيد والشرك، الأول أن تسأل الرسول أن يشفع لك.. والرسول صلى الله عليه وسلم لا يُدعى.. ولا يُسأل.. ولا يملك الشفاعة لكي تسأله إياها.. والثاني.. أن تسأل الله وتدعوه أن يرزقك شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

استمر صاحبي في سكوته.. تابعت حديثي:

ـ وكذلك أن تسأل الرسول صلى الله عليه وسلم النفع والضر والغوث والنصر والهداية والتوفيق وإدخال الجنة والنجاة من النار.. أو الاعتقاد بشيء من ذلك وإن لم تنطق به، هذه قضايا ليست إلا لله ـ عز وجل ـ لا أحد على الإطلاق ـ لا جبرائيل، خير الملائكة، ولا محمد صلى الله عليه وسلم خير البشر ـ يملكها من دون الله عز وجل، ومن أعظم الشرك أن تسأل غير الله ما اختص الله به عز وجل فالصحيح أن تسأل الله كل ما سبق فالهداية من عند الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم سبب

عظيم للهداية، فهو الذي بيَّن للناس وعلّمهم بأكمل السبل، وأبلغ الطرق، هذا ما يملكه صلى اللّه عليه وسلم أما التوفيق لقبول الحق وانشراح الصدر.. واتباع الهدى.. فهذا من عند اللّه ولا يملكه محمد صلى اللّه عليه وسلم والشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا بإذن اللّه، حيث يسجد الرسول صلى اللّه عليه وسلم تحت عرش الرحمن عز وجل فيأذن له اللّه عز وجل أن يشفع في طائفة من أمته ممن دخل النار.. يحددهم عز وجل لرسوله صلى اللّه عليه وسلم ثم يسجد صلى اللّه عليه وسلم فيأذن له اللّه عز وجل أن يشفع في طائفة أخرى، وهكذا. (متفق عليه)

قاطعني.

ـ ولكن ألا يشفع الشهيد في سبعين من أهله؟! (صحيح الجامع الصغير).

ـ نعم، بإذن اللّه، أي أن اللّه يأذن للشهيد أن يشفع في أناس محددين من أهله.. يختارهم اللّه ممن يستحقون الشفاعة، لا أن يشفع الشهيد وفق هواه وإرادته من دون اللّه!

كأنني نقلت إليه معلومة لم يسمعها من قبل.

ـ قضايا العقيدة دقيقة جداً ولا مجال فيها للإجتهاد والآراء والعقل والمنطق والأهواء.. كلها جاءت واضحة بيِّنة في كتاب اللّه وفي سنة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وعلى المرء أن يبذل ما يملك من جهد في الوصول إلى العقيدة الصحيحة لأنها السبيل الأقوى للنجاة يوم القيامة.

قال موافقا:

ـ إذا كان الرسول صلى اللّه عليه وسلم لا يملك هذه الأمور فمن باب أولى ألا يملكها أحد سواه!!

المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم

لاشك أن رسولنا محمد صلى اللّه عليه وسلم سيد الأنبياء وأفضل الرسل وأكرم الخلق على اللّه تعالى ختم به الأنبياء وختم برسالته كل الرسالات فلا نبي بعده ولا رسالة مع رسالته «الإسلام».

ـ هذه عقيدتنا نحن المسلمين.. ولكن أليس من عقيدتنا «احترام» الأديان السماوية الأخرى والإيمان برسلها حيث إنها أديان سماوية..

صاحبي مصري قدم الكويت منذ سنة تقريبا يشتغل في السلك القضائي.. تعرفت عليه بواسطة أحد الزملاء في كلية الحقوق..

ـ إن عقيدتنا «أستاذ حسام» تثبت نبوة عيسى وموسى عليهما السلام بل هما من أولي العزم من الرسل وكذلك تثبت عقيدتنا كفر اليهود والنصارى وأنهم حرفوا التوراة والإنجيل وزعموا أن عيسى ابن اللّه وأن عزيراً ابن اللّه وحَكَم اللّه بكفرهم.. ولا ينبغي ليهودي ولا نصراني إلا أن يتبع محمداً صلى اللّه عليه وسلم لأن عيسى عليه السلام أمرهم بذلك وكذلك موسى عليه السلام.

ـ ولكن النصارى يتمسكون بأن عيسى أوتي معجزات عظيمة (إبراء المرضى وإحياء الموتى أحياناً).. وموسى أوتي العصا واليد وغير ذلك من المعجزات الكبرى..

ـ وماذا في ذلك! بل لقد آتى اللّه كل رسول معجزة تثبت أنه رسول من عند اللّه إقامة للحجة على قومه.. صالح عليه السلام أخرج لهم ناقة

من الجبل.. وسليمان.. وداوود.. ومع ذلك أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم معجزة أعظم من معجزات جميع الرسل مجتمعين!!

- ماذا تعني؟ الإسراء والمعراج؟

- كلا.. مع أن الإسراء والمعراج من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أسرى به الله من مكة إلى بيت المقدس حيث صلى بالأنبياء ثم عرج به إلى السماوات العلا ورأى في تلك الليلة من ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ (النجم).. رأى بعض الأنبياء في السماوات السبع.. ورأى سدرة المنتهى.. ورأى بعض أنواع العذاب.. وبعض نعيم الجنة.. وبعض الملائكة.. ثم رجع من ليلته إلى مكة.. نعم تلك معجزة ولكنها ليست أعظم معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم.

- وما هي معجزته الكبرى صلى الله عليه وسلم؟

- لقد أوتي الرسول أكثر من ستة آلاف معجزة كبرى.. هي آيات القرآن.. كل آية معجزة.. ولاشك أن الآية التي ذكرت ناقة صالح أعظم من الناقة ذاتها.. لأن الآية من القرآن كلام الله وهي صفة الرب - عز وجل - أما الناقة فهي مخلوق من مخلوقات الله. وهكذا الآية التي ذكرت عصا موسى أعظم من العصا ذاتها.. للسبب نفسه.. فالرسول صلى الله عليه وسلم أُعطي أكثر من ستة آلاف آية باقية إلى يوم القيامة كلها أعظم من جميع معجزات الرسل السابقين.

- وهل وردت تسمية المعجزة آية؟

ـ إسمع قول الله تعالى.. على لسان صالح ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ (هـود).. وعن اليهود ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ (الأعـراف).. وقـال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾ (الإسـراء).. وقال عن اليهود: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ (آل عمران).. والرسول صلوات الله عليه أعطي الكثير من المعجزات أو الآيات في حياته كانشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الشجر وتكثير الطعام ونبع الماء بين أصابعه والإسراء والمعراج ولكن بلاشك أعظم الآيات.. كتاب الله تعالى.

ولسوف يعطيك ربك فترضى

ـ يظن كثير من المسلمين أن هذه الآية من سورة الضحى وَعْدٌ للرسول صلى الله عليه وسلم بالنعيم في الجنة وحسب.. مع أنها آية ينبغي أن يفرح بها المسلمون لأنها بشارة لهم ووعد ينالهم يوم القيامة.

ـ كيف ذلك والسورة كلها خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؟

ـ هذه الآية تؤكد للرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سيرضيه يوم القيامة.. ولن يرضى الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وقد رأى كل أمته قد نجت من النار.. وبينما دعاء الأنبياء يوم القيامة «يا رب سلّم يا رب سلّم».. لا ينسى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته فنداؤه لربه يوم القيامة «**يا رب أمتي.. يا رب أمتي**» (البخاري ومسلم).. ويأتيه الرد.. (**إنّا لن نخزيك في أمتك اليوم يا محمد**).

ـ هل هذا ضمان للمسلمين بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم؟

ـ كلا.. بل هو دعوة للمسلمين أن يكونوا ممن يستحق شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الحديث أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «**لأعرفن أقواما من أمتي يؤخذون ذات اليمين وذات الشمال فأقول يا رب أمتي.. أمتي.. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.. لم يزالوا القهقري منذ تركتهم**» (السلسلة الصحيحة) فهؤلاء أصحاب البدع والذين بدلوا دين الله وأحدثوا فيه ما ليس منه لا يستحقون شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بل يدعو عليهم صلى الله عليه

وسلم والرسول صلى اللّه عليه وسلم لا يملك أن يشفع لأحد إلا بإذن اللّه عز وجل.. فيشفع لأقوام ألا يدخلوا النار وقد استحقوها.. ويشفع لأقوام أن يخرجوا من النار بعد أن دخلوها فيخرجوا منها.. وذلك كله بإذن اللّه وبأمر اللّه عز وجل.

ـ وما معنى الحديث.. «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» (صحيح الترمذي وأبي داود)؟!

ـ معناه أن هناك شفاعة تنال حتى أهل الكبائر بعد أن يأذن اللّه لرسوله صلى اللّه عليه وسلم فيقول له: «**أَخرِج من أمتك من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان أخرج من أمتك من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» (صحيح الجامع) وهكذا يأذن اللّه لرسوله أن يخرج أفواجاً من النار بشفاعته. ولكن أهل البدع لا ينالون الشفاعة.. فالبدعة أشد من الكبيرة.. وأهل الشرك لا شفاعة لهم مطلقاً.

كان محدثي (بوسلطان) قد سكن حديثا منطقتنا.. له من الأولاد أربعة.. كلهم يحضر معظم الصلوات في المسجد بفضل اللّه.

كنا في طريقنا بعد صلاة العشاء وقد أمسك بيدي وهو يحدثني..

ـ أليس معنى الحديث أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم يشفع لمن يتوب من أهل الكبائر؟

ـ كلا.. من تاب عن ذنب تاب اللّه عليه، والتائب عن الذنب كمن لا ذنب له.. اللّه لا يحاسب إنساناً على ذنب تاب منه.. أما الذين يعذبون

بذنوبهم يوم القيامة، فهم أولئك الذين لم يتوبوا من ذنوبهم.. فإما أن يغفرها الله مادام الذنب دون الشرك.. وإما أن تنالهم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فينجون من النار.. وإما أن يعذبوا في النار، ثم يخرجوا بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أو برحمة الله.. أو بعد أن يأخذوا نصيبهم من العذاب.. وكل ذلك ممكن يوم القيامة.

ـ وما معنى .. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى).

ـ كان بعض السلف يرى أن مِنْ شكر النعمة أن يتحدث بها اعترافا بفضل الله عليه وتذكيراً لنفسه أن ما به من نعمة فمن الله وليس بحوله وقوته.. ولكن لا يتحدث عن النعمة تفاخراً على خلق الله واستهزاء بهم.. وأقل ذلك أن يحدث نفسه أن كل نعمة هو فيها من الله ويحدث بها إخوانه الذين يحبون له الخير.. لا أولئك الذين إذا علموا بنعمة الله على أحد حسدوه وأبغضوه ودعوا عليه.

عقيدتنا في المسيح (عليه السلام)

زميلي في العمل.. يصف نفسه أنه (نصراني..غير متدين).. لا يرى أهمية للدين ويحترم ـ كما يقول ـ حتى من «يعتنق» الوثنية ولا يؤمن بشيء..

ـ هذه أمور شخصية وقناعات يتبناها الإنسان نتيجة أمور كثيرة.. متداخلة ومعقدة...

ـ ولكن ألا يحب الإنسان بطبيعته أن يصل إلى الحقيقة؟!

ـ بالطبع..ولكن «الحقيقة» نسبية.. وعلى العموم أنا لا أهتم لهذا الجانب..

ـ دعني أسألك.. ما الذي تؤمن به عن المسيح عليه السلام؟!

ـ ما سمعته في صغري.. أنه (روح الله) تمثل على هيئة بشرية ليحمل ذنوب الناس جميعا.. فرضي الرب بصلب (ابنه) فداء للبشر!!

ـ وماذا عن ميلاده؟!.

ـ لا أدري..

ـ إذن إسمع مني.. لعلك تحتاج يوماً بعض المعلومات لتناقش بها بعض المتدينين من النصارى.. لقد خلق الله عيسى من غير أب وإنما أرسل جبريل فنفخ في جيب (فتحة الثوب العلوية) مريم.. فحملت مريم عليها السلام بعيسى.. تسعة أشهر كسائر النساء... وأتاها المخاض عند جذع

الشجرة.. (شجرة نخل)... وبجانبها ولدت عيسى عليه السلام.. فتكلم معها بعد ولادته.. يهوّن عليها.. ويصبرها.. ثم أتت به قومها.. فكلمهم وهو في المهد.. وكان (عليه السلام).. يبرئ الأكمه والأبرص.. أي يزيل عنهم العمى والبرص.. وكان من آياته ومعجزاته أنه يحيي (بعض) الموتى أحياناً.. ويخلق من الطين كهيئة الطير.. وينفخ فيها فتكون طيراً بإذن اللّه.. وكان عيسى عليه السلام مصدقاً لما في التوراة.. ومؤمناً بموسى عليه السلام.. وآتاه اللّه الإنجيل فيه هدى لبنى إسرائيل.. وكذلك بشَّر بني إسرائيل بنبي يأتي من بعده اسمه (أحمد).. فلما جاء بكل هذه الآيات والبينات لم يؤمن به إلا نفر قليل.. وأرادوا قتله صلباً.. إلا أن اللّه حفظه من ذلك وأخذوا شبيهاً له فصلبوه.. أما عيسى عليه السلام فقد رفعه اللّه إليه.. بروحه وجسده.. وإذا اقترب قيام الساعة.. يخرج المسيح الدجال.. وهو رجل كافر إحدى عينيه طافية كتب بين عينيه (ك ف ر) .. يمكث في الأرض (٤٤٠) يوما كأيامنا هذه يفتن كثيراً من الناس ويتبعه مئات الألوف من البشر.. فينزل عيسى عليه السلام من السماء.. يصلي مأموماً خلف إمام المسلمين المهدي (محمد بن عبداللّه).. ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويلقى المسيح الدجال فيقتله.. ثم يمكث مع المسلمين حتى يتوفاه اللّه عزوجل..

كان صاحبي يستمع كما يستمع الطفل إلى قصة مثيرة.. عندما توقفت انتبه.. وسأل..

ـ وماذا عن أنه (ابن اللّه).. أو (ثالث ثلاثة)؟!

ـ هذا كله (كفر بالله).. لم يأت به عيسى ولم يدّعِ عليه السلام شيئا منه.. وإنما دعا بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده، وأُمّه مريم عليها السلام لم تزعم ذلك ولم تكن نبيّة وإنما كانت صدّيقة.. ولم تدّعي الألوهية ولا أي شيء يخالف التوحيد الذي أمرها الله به.. ونحن نؤمن بعيسى كما نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم.. لا نفرق بينهما.. وعيسى عليه السلام في خير خمسة من الرسل.

نحن أَوْلى بموسى (عليه السلام)

«بو مساعد».. لا تفوته صلاة في المسجد.. رغم أنه غير ملتح.. يحب العلم الشرعي.. ولذلك يكثر من الأسئلة.. ويطلب إجابات تفصيلية بالأدلة.. إما بعد صلاة العصر أو العشاء..

ـ ما معنى حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم «نحن أولى بموسى»؟!

ـ كنا في طريقنا إلى منزله استجابة لدعوته لشرب الشاي معه..

ـ تعلم أن هذا الحديث قاله النبي صلى اللّه عليه وسلم عندما قدم المدينة ووجد اليهود يصومون يوم العاشر من محرم «عاشوراء» فسأل عن ذلك، فقيل إنه اليوم الذي نجى اللّه فيه موسى من فرعون فهم يصومونه شكرا للّه.. فقال صلى اللّه عليه وسلم: «**نحن أولى بموسى**» (متفق عليه) وأمر بصيامه..

قاطعني..

ـ هل صيام عاشوراء واجب؟

ـ كان قبل أن يفرض رمضان..

ـ ولكن الصيام فرض في السنة الثانية.. وكان صيام عاشوراء واجباً في السنة التي قدم فيها النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى المدينة.

ـ هو كذلك... «ونحن أولى بموسى» معناه.. نحن المسلمون أولى أن نحتفل بنجاة موسى.. وأولى بموالاة موسى.. وحبه.. لأننا نؤمن به ونؤمن

بما جاء به من عند اللّه.. ودون عناد.. ولا تحريف.. ولا تبديل.. بل إيمان المؤمن لا يصح إلّا أن يؤمن بموسى رسولاً من عند اللّه.. وبالتوراة كتاباً من عند اللّه.. آتاه اللّه موسى.. فنؤمن بموسى وعيسى وإبراهيم ومن قبلهم من الأنبياء جميعاً..والكتب كلها.. من عند اللّه..

- ولكن النصارى يؤمنون بموسى وعيسى والأنبياء!!

- أهل الكتاب أضافوا.. وحذفوا.. وغيروا.. وبدّلوا.. وعظّموا الأشخاص أحياناً.. فقالوا: «عزير ابن اللّه».. و«المسيح ابن اللّه».. أما شريعة محمد صلى اللّه عليه وسلم..فجاءت بالعدل والعقيدة الصحيحة.. فلا إطراء لأحد.. بل الجميع عبيد اللّه.. ومحمد صلى اللّه عليه وسلم عبداللّه ورسوله.. ثم لا نبيّ بعد محمد صلى اللّه عليه وسلم: فالصحابة وآل البيت أفضل الخلق بعد الأنبياء ولكنهم لا يصِلون إلى مرتبة الأنبياء، ولا يُوحى إليهم.. ولا يشرّعون شيئا في دين اللّه.. بل يتبعون ما جاء به النبي صلى اللّه عليه وسلم.. وأفضلهم أبو بكر الصديق.. فالمؤمن يوالي الصحابة.. وآل البيت ويحبهم وينصرهم ويعرف لكل مكانته.. ولكن لا يرفعهم إلى منزلة فوق المنزلة التي وضعها اللّه لهم.

- وهل يحب آل البيت أكثر من الصحابة.. أم العكس؟!

- آل البيت لهم حب ومكانة أوصى بها النبي صلى اللّه عليه وسلم.. والصحابة لهم حب ومكانة أوصى بها النبي صلى اللّه عليه وسلم.. وهذا لا يناقض هذا، بل يحب الجميع.. أما ترتيب الأفضلية.. فكما أمرنا اللّه بالإيمان بجميع الرسل وحبهم جميعا.. فإنه سبحانه هو

الذي فاضل بينهم.. فقال: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ (البقرة: ٢٥٣).. وأخبرنا بأن أفضلهم أولو العزم.. «نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد» (صلوات اللّه عليهم أجمعين)، وكذلك الصحابة وآل البيت.. رتبهم الرسول صلى اللّه عليه وسلم: أبو بكر.. عمر.. عثمان.. علي (رضي اللّه عنهم أجمعين) وهذا بإجماع الصحابة وآل البيت جميعاً.. دون انتقاص لأحد، بل الحب والولاء والمؤازرة والاتباع لهم جميعاً.. وكيف لنا ـ ونحن الأدنى ـ أن نحكم على الأعلى ونفاضل بينهم.

وما همّ بها يوسف (عليه السلام)

ـ من عقيدتنا في الأنبياء أن الله عصمهم عن الفاحشة فلا يقع نبي في الزنا حتى قبل النبوة وكذلك لا تقع زوجات الأنبياء في الزنا.. وذلك لأن هذه الفاحشة حتى إن وقعت فيها المرأة فإن المنقصة تصيب الرجل في أخلاقه.. ولقد اصطفى الله جميع الأنبياء من خيرة البشر خُلقا.. ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (آل عمران).

ـ ولكن هناك آيات تبعث في نفسي شعوراً بأن بعض الأنبياء وقع منه ما يخالف هذه العقيدة؟!..

ـ أظنك تعني ما ورد عن نبي الله يوسف عليه السلام؟

وأيضا نبي الله لوط عليه السلام.. في قوله تعالى.. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود: ٧٨).. وكذلك عن زوجة نوح عليه السلام ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (التحريم)!!

معرفتي بصاحبي وقلة اطلاعه في القضايا الشرعية دفعتني لأسأله:

ـ هل أخبرك أحد عن هذه القضايا؟ أم إنك فكرت بها وأنت تقرأ القرآن؟!

ـ بل قرأتها في كتاب أهداني إياه صديق أجنبي..

راودني يقين بأن الكتاب هذا يحتوي على إسرائيليات هدفها التشكيك في دين الله (الإسلام)..

ـ اسمع يا (أبا صالح).. المؤمن يؤسس عقيدته تأسيساً لا يقبل الشك أو التشكيك.. ويفسر كل أمر بعد ذلك انطلاقا من هذا اليقين.. لنبدأ بنبي الله يوسف عليه السلام..

جاء في القرآن قوله عز وجل.. ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (يوسف: ٢٤).. أليس كذلك؟.. انتبه.. قال في حق يوسف ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.. دعني أسألك.. عندما تقول.. (كدت أسقط من حافة الصخرة لولا أن أمسكني أخي).. هل سقطت أم لا..؟

ـ بل لم أسقط.. لأن أخي أمسكني..

وكذلك يوسف عليه السلام «لم يهمّ بها لأنه تجلّى الإيمان والإخلاص ومخافة الله في قلبه».. فلم يهمّ بها عليه السلام، أما هي فقد همّت به وأخذت كل الأسباب التي يمكنها أن تأخذها للتهيؤ للفاحشة.. وهو لم يهمّ بها مطلقاً..

ـ هذا جميل وواضح ومتفق عليه مع عقيدتنا في الأنبياء..

ـ وأما (نوح) و(لوط) عليهما السلام.. فكانت زوجتاهما كافرتين لم تؤمنا بالرسالة والهُدى من عند الله.. فخانتا زوجيهما في الإنقياد والطاعة.. وكانت امرأة لوط هي التي أخبرت قوم لوط بأن عنده أضياف

وصفتهم لهم فأتوا لوطاً يهرعون يريدون أن يرتكبوا الفاحشة مع ضيوفه (الملائكة).. فما كان من لوط إلا أن أرشدهم إلى العفاف والطهر وما ينبغي أن يفعلوه بأن يتجهوا إلى ما أحل الله (الزواج) بدل السعي إلى ما يغضب الله.. وهذامقام تذكير وبيان وأمر بمعروف ونهي عن منكر..

فاسمع قول الله تعالى.. ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ۝٧٨﴾ (هود) .. والطهر لا يكون مع الزنا وإنما يكون مع الزواج الذي شرعه الله ورغب فيه.. وهكذا تبقى أعراض جميع الأنبياء عليهم السلام مصونة طاهرة لا يشوبها شيء.. وكل كلام يخالف هذه العقيدة فلا شك أنه باطل القصد منه الطعن في شريعة الله عز وجل.

الصحابة وآل البيت

(أيمن) من الذين واظبوا على الصلاة في مسجدنا منذ رمضان الفائت.. لا نكاد نلتقي في الصلاة إلا وسألني عن قضية في العقيدة بعد الصلاة!! وأكثر أسئلته عن الصحابة رضوان الله عليهم..

- إن عقيدتنا يا أيمن أن الصحابة كانوا يحبون آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ويوقرونهم ويعلمون أن حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم يُلزمهم بذلك، فضلاً عن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاهم فقال.. «**أذكركم الله في أهل بيتي**» (صحيح مسلم).. كررها مرارا..

- ولكن هناك بعض الشبهات التي قد لا تنسجم وهذه العقيدة.. مثلاً ما وقع بين عائشة وعلي رضي الله عنهما..

- ابتداء.. كانت عائشة تعلم قدر علي.. وكان علي يعلم قدر عائشة.. فقد قالت رضي الله عنها عندما سئلت عن علي رضي الله عنه.. (تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه).. وكان علي يعلم أنها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوها أحب الرجال إليه صلى الله عليه وسلم.. وما وقع بينهما بعد ذلك في (الجمل).. كان اجتهادا منها رضي الله عنها وأخطأت فيه ورجعت مكرّمة معززة إلى المدينة.. ويكفيها شرفاً ما نزل فيها من كلام الله عز وجل.. وهي من المبشَّرات بالجنة وكذلك علي رضي الله عن الجميع..

وربما تريد أن تسأل عما وقع بين فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم رضي اللّه عنها وأبي بكر الصديق رضي اللّه عنه..

ـ نعم.. كنت أريد أن أسأل عن ذلك؟..

ـ بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه وسلم أتت فاطمة رضي اللّه عنها تطلب ورث أبيها فأخبرها الصديق وهو صادق.. إن قرابة رسول اللّه أحب إليه من قرابته.. ولكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أوصى بأن الأنبياء لا يورَّثون.. (متفق عليه) وتعهد لها بأن ينفذ وصية أبيها وسنته في نخيل (فدك).. فيعطيها قوت عام ويقسم الباقي ويتصدق ويحمل في سبيل اللّه.. وأزيدك معلومة تبين جانباً آخر من علاقات الصحابة وآل البيت رضي اللّه عنهم أجمعين.. بعد وفاة أبي بكر تزوج علي بن أبي طالب زوجة أبي بكر وولدت له ولداً أسماه يحيى.. فكان أخا لأبناء أبي بكر الصديق.. وكان أحفادهما أبناء الخالة!! ثم سمّى علي أحد أبنائه (أبو بكر).. وعندما اجتمع الغوغاء لمقتل عثمان كان على بابه الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب يدافعان عن أمير المؤمنين عثمان رضي اللّه عنه.. وكان أبو جعفر محمد بن علي رضي اللّه عنه لا يذكر أبا بكر إلا ملقبا بالصديق ويترضى عليه!!

ـ هذا الذي يتوقعه المرء من ذلك الجيل الذي رباه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم..

ـ نعم لقد كان الصحابة وآل البيت يعرف بعضهم لبعض قدره.. وكانوا متحابين متعاونين ضحَّوا من أجل هذا الدين ولا ينبغي لأحد أن

يفرق بينهم ويترحم على بعض ويلعن الآخر.. بل هم جميعاً على خير وتحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة.. ولديهم من الأعمال العظيمة الصالحة ومن البشارات في الكتاب والسنة ما يزيد أضعافاً مضاعفة عن بعض ما وقع من بعضهم من هفوات.. ونحن نعتقد جازمين أنهم خير الناس وخيرهم أبو بكر وعمر.. بشهادة الجميع بمن فيهم علي رضي الله عنه.. وكلهم سيَرِدُ على رسول الله.. ونسأل الله أن يحشرنا مع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لأنهم والصحابة في مكان واحد آمنين بإذن الله تعالى فلقد رضي الله عن الجميع..

السيدان: أبو بكر وعمر ـ (رضي الله عنهما)

صاحبي من العارفين بالأنساب ومقامات القبائل.. أرجع إليه في معرفة أصول العائلات من باب المعرفة بالشيء.. وإلا فهو وأنا نؤمن بالآية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات)..

ـ ولكن هذه أنساب لا يمكننا أن ننكرها.. وإن كانت لا تغني شيئا.. والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن هذه الأمور بأنها من الجاهلية، وهي باقية في هذه الأمة...

كنت وصاحبي في سفر قصير إلى الحدود الجنوبية لزيارة صديق له لمدة ساعات، ثم العودة مساء ذات اليوم..

ـ بعض الناس يصر على لقب (سيد).. زعماً بأن نسبه ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يميز نفسه بلون العمامة للإخبار أنه (سيد).. وبعضهم يأتي من الكبائر ما قد يكون كفراً، ويظن أن نسبه إلى (بني هاشم) يشفع له.. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» (صحيح الترغيب والترهيب)... وقال لريحانته وأعز الناس إلى قلبه فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها: «**يا فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئا**» (البخاري)..

ـ وهل يجوز لنا أن نقول إن بعض الصحابة أفضل من بعض؟

ـ إن المفاضلة بين الناس أمر اختص به الله عز وجل.. فضَّل الله بعض النبيين على بعض.. ونحن نقول كما قال الله عز وجل، لا انتقاصاً

من حق المفضول ولا عصبية ولا حمية، ولكن ننزِل الأنبياء المنازل التي أنزلهم الله عز وجل.. والصحابة عموماً لهم منزلتهم المميزة، وجاء في فضل كل منهم أحاديث لا ننكرها.. بل نقر لكل بفضله ومكانته، وكذلك جاءت الأحاديث في فضل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.. لاسيما علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأمهما فاطمة ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ وكذلك حمزة بن عبدالمطلب والعباس ـ رضي الله عنهم ـ فنؤمن بكل ما ثبت في فضل هؤلاء.. ولا ننتقص من قدر غيرهم أو نقدح به.. ولكن في باب المفاضلة نقول ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم.. فأفضلهم عبدالله بن عثمان، (أبو بكر الصديق) ـ رضي الله عنه ـ وبعده عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (صحيح البخاري). والحديث في هذا الترتيب صحيح صريح.. ولا ينتقص من قدر غيرهما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو آل بيته ـ رضي الله عنهم أجمعين.

ـ في المركز الحدودي لم يستغرق الأمر سوى نصف ساعة ـ بفضل الله ـ فقد كان العاملون هناك مرحبين مودّعين كأحسن ما يكون..

ـ ومن هذه الثوابت نقيّم الروايات والأخبار التي نقرؤها أو نسمعها عن الصحابة.. فإذا سمعنا أن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان يبغض أبا بكر أو عمر ـ رضي الله عنهما ـ نعلم أن هذا الخبر لا يثبت، فقد سمّى عليٌّ أحد أبنائه أبوبكر وسمى الآخر عثمان.. وكذلك الحسن بن علي سمى أحد أبنائه أبو بكر.. وما وقع بينهم لا يخرج عن اجتهادهم.. فبعضهم مصيب وبعضهم مخطئ.. ولكنهم جميعاً مغفور لهم مشهود لهم بالجنة..

ـ حتى وإن كان الذي حصل بينهم قتالاً؟

ـ تعني ما وقع بين علي وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ في موقعه الجمل؟!

ـ نعم.. وغيره أيضا!!

ـ في هذه الموقعة خصوصاً.. خرجت عائشة ـ رضي الله عنها ـ من مكة، أرادت الإصلاح ـ رضي الله عنها ـ وخرج معها جمع ممن يرى رأيها.. ووقع قتال بين جيشها وجيش علي رضي الله عنه ـ بسبب بعض من يريد الفتنة ولكن عليًّا أكرمها وأنزلها المنزل الذي يليق بها.. وهي ـ رضي الله عنها ـ ندمت على فعلتها.. وأُرجعت إلى المدينة مكرّمة.. ومع ذلك فإننا نشهد لها بالمكانة العليا في الآخرة عند الله وأنها زوجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة، وكذلك نشهد لعلي بمكانته العليا في الآخرة عند الله وأنه من السابقين إلى الجنة بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم... الشاهد أنه لا ينبغي لمسلم أن ينتقص أحداً من هؤلاء الكبار السابقين ولا أن يحمل في قلبه إلا التوقير والتعظيم والحب والإجلال لهؤلاء الصحابة الكرام، لاسيما السيدين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما.

الزهراء.. سيدة نساء أهل الجنة

لم تسنح لي الفرصة أن أختلي بابني إلا بعد أربعة أيام من قدومه من السفر ليلة عيد الفطر.. كنا وحدنا في البيت بانتظار رجوع الأخريات خرجن لمشتريات اللحظة الأخيرة.

ـ تعرفت على طالب بحريني قدم لي أشرطة وأخبرني بأمور تبدو أنها غير منطقية..

ـ مثل ماذا؟

ـ لا أذكر شيئا كثيراً... ولكن أخبرني أن أحد الصحابة كسر ضلع (فاطمة الزهراء) رضي الله عنها وأسقط جنينها... ما قصة هذه الحادثة؟!

ـ اسمع يا بني... واحفظ ما أقوله لك... هذه رواية مكذوبة وكل من يرويها كاذب لا يخاف الله ولا حظّ له من تقوى الله عز وجل... بل (فاطمة الزهراء) رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب الناس إليه.. ما كان ليرضى أحد أن يؤذيها بشيء بعد وفاة أبيها رسول الله.. وعقيدتنا في (فاطمة الزهراء) رضي الله عنها، واضحة جلية مكتوبة في أصح كتب الحديث عندنا ونؤمن بها ونتكلم وننشرها نرجو بذلك رضي الله عز وجل..

يا بني... إنّ عقيدتنا أن (فاطمة الزهراء) أصغر بنات النبي الأربع أمها خديجة بنت خويلد ولدت في مكة قبل البعثة بقليل وتزوجها ابن عم

النبي علي ابن أبي طالب رضي اللّه عنه وأنجبت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب رضي اللّه عنهم أجمعين.. وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي وولدت له زيد بن عمر.. فتكون فاطمة الزهراء أم زوجة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهم أجمعين... ودعا رسول اللّه لعلي وفاطمة عند زواجهما فقال «**اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما**» (صحيح أحمد).

أما عن مكانتها عند رسول اللّه... فقد قال عنها أبوها المصطفى صلى اللّه عليه وسلم: «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**» (متفق عليه).. وكانت إذا دخلت عليه قام إليها ورحب بها وقبلها وهي تقبل يده وقالت عائشة بنت أبي بكر عنها: «**ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة إلى أبيها**».. وفي الحديث: «**سيدة نساء أهل الجنة فاطمة إلا ما كان من مريم بنت عمران**» (البخاري)... ففاطمة الزهراء تُذكر مع خيرة نساء العالمين: أمها خديجة بنت خويلد وآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي اللّه عنهن أجمعين..

وجاء علي رضي اللّه عنه لرسول اللّه يسأله عن بنت أبي جهل - يريد أن يتزوجها على فاطمة الزهراء - فقال صلى اللّه عليه وسلم «**لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد**» (صحيح الجامع) وفي رواية «**فاطمة بضعة مني ولا أحب أن تحزن أو تجزع**» (متفق عليه) فلم يتزوج عليّ عليها امرأة إلى أن توفاها اللّه..

كان ابني يستمع.. ويكتب في ورقة صغيرة كلمات لم أحاول معرفتها..

وعندما رن الهاتف أغلقه ولم يرد عليه.. تابعت حديثي..

ـ فحياة فاطمة مع أبيها صلى اللّه عليه وسلم.. حياة أحب البنات مع أفضل الخلق.. يصلح بينها وبين زوجها إذا اختلفا.. وينصحها.. ويبين لها.. ويودها... أما عن قضايا العقيدة... فقد قال لها صلى اللّه عليه وسلم.. «**يا فاطمة سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا**» (صحيح النسائي).. وهذا لا ينافي بشارتها بالجنة كما بشّر أبا بكر وعمر وعلياً وعائشة» وغيرهم بالجنة... ولكن حتى الرسل لا ينسبون لأنفسهم شيئا أمام اللّه عز وجل.. فقد قال صلى اللّه عليه وسلم «**لا أحد يدخل الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول اللّه قال ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمته**» (صحيح الترغيب والترهيب)... ولا أحد يشك في مكانة الرسول صلى اللّه عليه وسلم عند اللّه عز وجل. وأنه أكثر الناس أمناً ومكانة عند اللّه عز وجل... ولكنه مقام الألوهية الذي لا ينبغي لمخلوق أن يدعى شيئا منه..

وعندما تُوفي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.. حزنت حزنا شديدا... وأصابها ما أصاب الصحابة من هول الموقف وربما أشد منهم لأنه أبوها ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقالت لمن دفنه «**أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم**» (البخاري) وعندما أتت أبا بكر تطلب أرث أبيها أخبرها بحديث أبيها.. أخبرها بالحديث الصحيح.. «**نحن الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**» (متفق عليه).. فطابت نفساً ورجعت.. وتوفيت بعد النبي صلى اللّه عليه وسلم بستة أشهر على الأكثر وتولى علي ابن أبي طالب رضي اللّه عنه دفنها...

سورة.. أمهات المؤمنين

في خطبة الجمعة تناولت تفسير بعض الآيات من «سورة الأحزاب» لاسيما آية التطهير.. بعد صلاة العصر.. وعادة لا ألقي درس العصر يومي الخميس والجمعة.. اقترب من مجلسي..

ـ لقد سمعت منك اليوم تفسيراً وبياناً لم أكن أعرفه عن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فجزاك الله خيرا..

ـ كثير من الناس يغفل عن مكانة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.. مع أن الجميع يحرص على بيان مكانة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.. ولو أراد أحد أن يعطي «سورة الأحزاب» اسما آخر لما وسعه إلا أن يسميها سورة أمهات المؤمنين..

ـ كيف ذلك؟!

ـ هذه السورة تذكر في بدايتها.. وتحديداً في الآية السادسة.. ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ ثم في الآيات «٢٨ ـ ٣٨» كله خطاب أو إخبار عن أمهات المؤمنين.. ثم الآيات «٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٩» أيضا عن أمهات المؤمنين.. والسورة كلها «٧٣» آية.

استفسر متردداً..

ـ ولكن بعض الناس يقولون: إن في هذه السورة الكثير من الملامة على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).. ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (الأحزاب) .. وهكذا..

ـ بل في ذلك بيان لعظيم مكانتهن.. ولأقرِّب لك المعنى.. فإن هذه الآيات إرشاد لنساء النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يترفعن عن كل ما من شأنه ألا يتناسب وسمعة بيت النبي صلى اللّه عليه وسلم وكونهن ينتمين إلى هذا البيت الشريف.. هذا الانتماء وهذه المنزلة توجب عليهن مضاعفة العمل والحرص.. وهذا كقوله عز وجل مخاطبا أشرف الرسل صلى اللّه عليه وسلم ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (الزمر).. وحاشا للرسول صلى اللّه عليه وسلم أن يقع في شرك.. وكذلك قوله عز وجل ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (يونس).. وحاشا للرسول صلى اللّه عليه وسلم أن يقع منه شك.. وكذلك قوله لنساء النبي صلى اللّه عليه وسلم: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ﴾ (الأحزاب: ٣٠).. فلم تأت واحدة منهن بفاحشة.. وحاشا لهن أن تقع منهن فاحشة.. وهذا كقوله عز وجل لرسوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ (الأحزاب).. وهذا في أول السورة.. فهل يحتمل أن يطيع الرسول صلى اللّه عليه وسلم الكافرين والمنافقين؟!..

فالرسول صلى اللّه عليه وسلم لم يطع الكافرين والمنافقين.. وكذلك أزواجه لم تقع منهن فاحشة، وعندما خُيِّرن بين الدنيا والآخرة.. اخترن

الله ورسوله والدار الآخرة.. ولذلك أكرمهن الله عز وجل.. بأن حَرّم على رسوله صلى الله عليه وسلم الزواج عليهن ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ (الأحزاب: ٥٢).. وكذلك حرم عليه تطليق واحدة منهن.. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ﴾ (الأحزاب: ٥٢).. وأعظم تشريف لهن أن جعلهن أمهات المؤمنين جميعا.. ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ (الأحزاب: ٦)..

فمن طعن بإحداهن أو انتقص مكانتهن ولم يرض بهن أمهات لم يكن هو من المؤمنين.

أعجب صاحبي بهذا التفصيل وطلب المزيد..

ـ وأخيراً قرر الله أنهن أبداً للرسول صلى الله عليه وسلم.. وهو أبداً لهن.. وحرم نكاحهن بعد وفاة نبيه صلى الله عليه وسلم.. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣﴾ (الأحزاب).

الصلاة.. الصلاة..

بين فترة وأخرى تهاتفني، تسأل عن حكم فقهي أو قضية في العقيدة.

ـ تسأل إحداهن أنها تتكاسل عن أداء الصلاة.. رغم أنها تمسك صائمة كل يوم إلا أنها تترك صلاة أو اثنتين كل يوم هذا في رمضان أما بعد رمضان فإنها لا تصلي.. هل صيامها مقبول؟

ـ للعلماء قولان في ذلك ولكن دعينا عن الحكم الفقهي.. أهي تصوم بدافع إيماني أم عادة كما يفعل بعض الناس؟

ـ لا شك أن لديها خوفاً من الله ورجاء الثواب.. فهي تساعد الفقراء ولا ترد محتاجاً.

ـ هذا تناقض.. كيف تزعمين أنها تخاف الله وترجو ثوابه وهي لا تصلي.. والرسول صلى الله عليه وسلم وصف لنا عذاب من ينام عن الصلاة ثم يصليها بعد وقتها بأنه سيكون عليه رجل يرضخ رأسه بحجر فيتدحرج الصخر فيذهب هذا فيلتقطه ثم يرضخ رأسه مرة أخرى.. (أصله في البخاري ومسلم) وهكذا حتى ينال جزاءه.. أما من فاتته صلاة العصر فكأنما فقد أهله وماله (متفق عليه).. وأشد أنواع العذاب تكون للمتهاون بالصلاة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ (الماعون).. فكيف بالذين هم لصلاتهم تاركون؟!

ـ أظنها تعلم كل هذا ولكنها تزعم أنها لا تستطيع المحافظة على

الصلاة لأنها تعمل وتكثر من الخروج من البيت وهي غير محجبة والصلاة تحتاج إلى طهارة وهو أمر تستصعبه..

ـ هذه الأعذار لا تنفعها يوم القيامة.. أول ما ستحاسب عليه يوم القيامة الصلاة. إن أمر الصلاة عظيم ومن ترك الصلاة يُخْشى عليه من الكفر.. وإن عمل ما عمل.. فكيف يقبل الصيام من كافر.. وإن حكمنا بإسلامه ولم نقل إنه كافر.. كيف سيواجه اللّه وقد ضيع عمود الدين فعلى أي شيء يقوم دينه؟.. «**وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله**» (صحيح الترغيب والترهيب)... قولي لها.. فكري بالصلاة أكثر من تفكيرك بالصيام.. لأن ترك الصيام أهون من ترك الصلاة وكلاهما عظيم..

ـ أراك لا تريد أن تعطيني إجابة صريحة واضحة؟

ـ كلا.. بل أريد أن أبيّن لصاحبتك أن مَثَلها كمثل الذي يستجير من الرمضاء بالنار.. تريد أن تتأكد أن صيامها مقبول ولا تخاف من عذاب ترك الصلاة!! أخبريها أن تحافظ على صلاتها وانقلي لها الأحاديث التي تبين عذاب تارك الصلاة والمتهاون فيها والذي يصلي فرضا ويترك فرضا لعل اللّه يهديها.

ـ لقد نقلت لها كل ما قلت مباشرة؟

ـ كيف ذلك؟!

ـ كانت تستمع لحديثنا كله عبر الهاتف الآخر.

مقاطعة الصلاة!

إلتقيته بعد غياب دام أكثر من شهر.. كان لقاؤنا صدفة، رغم أنه يسكن في الحي الملاصق لنا.. ترجلت من مركبتي.. كنت متلهفاً للقائه... ترجّل.. صافحته.. عانقته... أوصلت إليه شعوراً حقيقياً بافتقادي له... كنا نلتقي كل يوم... دون مبالغة.. كل يوم نتحدث.. ولو لفترة قصيرة.. وفجأة انقطع عن المسجد.. هاتفته... كان الجهاز مغلقاً... أرسلت إليه رسالة لم يرد... حمّلت ابنه (خالداً) رسالة لم يستجب .. أيقنت أن شيئا ما ضايقه فقرر عدم الصلاة في المسجد!!

أول سؤال طرحته...

- هل بلغك عني شيء ضايقك؟

أجاب بإصرار وتأكيد..

- كلا .. كلا... بالطبع لا.. وكيف لي أن أنقطع لسبب كهذا...

- إذن ما الخبر.. لم تعد تصلي معنا؟

- سببان.. بصراحة.. الأول أني أقضي معظم الوقت عند والدتي في بيتها.. والثاني .. أن إمامكم لا يعجبني.. أرى فيه بعض الأخلاق.. من تعالٍ وتكبُّر.. لا أحبها في أي إنسان.. فكيف وهو إمام يصلي بالناس.. وتراه عبوساً معظم الوقت.. لا يتحدث إلى أحد... ولكن السبب الأول هو الأقوى..

ـ هداك اللّه يا أبا خالد.. تترك الصلاة في بيت اللّه.. لأجل أن الإمام لم يعجبك.. وهل إذا تغير الإمام ستأتي للصلاة؟

ـ قلت لك... السبب الأول هو الأهم.. والدتي بحاجة لي..

ـ واللّه لقد أقلقتني.. هل بلَّغك خالد الرسالة.. «وكان خالد بيننا»...

ـ آسف.. يا عم.. لم أبلغ والدي الرسالة.

ـ لقد أصبحتُ جَدًّا يا أبا خالد.

إحتضنني مرة ثانية وبارك لي.. تابعت حديثي...

ـ واللّه لقد ظننت أنه بَلَغك شيء عني.. أو رأيت شيئاً لم أعلم به.. فجأة ودون سابق إنذار انقطعت عن المسجد.. ثم إنك تدرك صلاة أو اثنتين وأنت في منزلك، لم لا تأتي إلى المسجد؟.. ألا تعلم أن منهج السلف «الصلاة خلف كل بر وفاجر»؟ وكما قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم: «**فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فعليهم لا عليكم**» (البخاري).. إن أساء هو الذي يتحمل الوزر وليس المصلون.. أمّا ترك الجماعة لأجل سوء خلق الإمام أو سوء تصرفه، فهذا إثم أعظم.

ـ واللّه أعلم كل ذلك... ولكن عندما تدركني الصلاة وأنا في المنزل، إما أن أكون نائماً أو مرهقاً لا أستطيع الحضور إلى المسجد.

مازحته...

- الحمد لله أنني اطمأننت عليك.. ورأيتك.. أما عدم الحضور إلى المسجد فإنك تعلم يقينا أنه كسل منك.. وربما ضعف إيمان.. وأحدنا إذا قاطع المسجد.. فإنه لن يضر إلا نفسه.. يضيّع أجر الجماعة... وأجر المحبة في الله.. وأجر إلتقاء الإخوان.. وأعمال أخرى كثيرة لا تحصر في صلاة الجماعة.

من أدرك رمضان!

أبو عبدالعزيز.. عميد المسجد.. تجاوز الثمانين ورغم ذلك لا تفوته صلاة الفجر.. بيته لا يبعد أكثر من مائتي متر عن المسجد ويحتاج إلى ثلث ساعة ليقطع هذه المسافة مشياً!! يرفض استخدام المركبة..

ـ الحمد لله أدركنا رمضان أسأل الله أن أتمه وأن يتقبله مني..

ـ سوف تتمه إن شاء الله... والتالي بإذن الله وبعده كثير..

ـ كلا.. لم يبق من العمر شيء.. ذهب الأصحاب وتفرق الأحباب وها أنا بينكم بعمر أجدادكم..

ـ عسى الله أن يطيل عمرك في طاعته يا عم بوعبدالعزيز..

ـ الحمد لله... إنها نعمة عظيمة تستوجب الحمد والشكر كلما زاد عمر الإنسان فإنها فرصة أخرى من الله عز وجل.. إن كان صالحاً ليزداد أجراً وإن كان عاصياً لعله يتعظ ويتوب.. وخاصة إذا بلّغه الله رمضان.. وفي رمضان ما فيه من رحمة الله ومغفرته وتفتيحه لأبواب الجنان وإغلاق أبواب النيران.. وتزيين الجنة ومغفرة كل ما مضى من الذنوب.. إنها نعمة عظيمة يغفل عنها الإنسان... الحمد لله..

ـ هل تذكر كيف كان رمضان؟

رغم سنه إلا أن الله مَنّ عليه بذاكرة قوية.. يسأل عن كل من يغيب عن المسجد.. يعود من يمرض وإن لم يتمكن يهاتفه..

ـ رمضان يأتي أحيانا في الصيف.. شديداً صعباً.. وأكثر ما أذكر

صيام الشتاء.. راحة للبدن.. وقوة للدين.. وصلاة.. وذكر وقرآن وصلة رحم وإصلاح ذات البين.. إن رمضان نعمة للمسلمين وخاصة لمن اقترب أجله فإنه من الفرص الأخيرة التي يزيد فيها المسلم رصيده مع اللّه عز وجل، يكفر سيئاته ويطلب المغفرة والرحمة... وربنا كريم رحيم يعطي الكثير على العمل القليل.. الحمد للّه.

كنت وأبو عبدالعزيز ننتظر صلاة العشاء في أول يوم من رمضان.. دخل المؤذن.. قارن الوقت في ساعته وساعة الحائط.. شاركنا الحديث واقفا..

- كيف كان أول يوم صيام بو عبدالعزيز؟

- الحمد للّه.. مثل غيره من حيث الأكل.. ولكن أرجو أن يزيد في ميزان حسناتي وأن يتقبل اللّه مني ومنكم وأن ينفعنا جميعاً بهذا الصيام.. أما الأكل فأمره سهل.. كم بقي على الأذان؟

- ثلاث دقائق.. هل ستصلي التراويح كاملة معنا إن شاء اللّه؟ نظر إليه بو عبدالعزيز مستنكرا..

- ولِمَ لا؟.. الحمد للّه لا أذكر أنه مرّ علي رمضان دون أن أصلي التراويح كاملة مع الإمام.. سوف أصلي إن شاء اللّه..

- عسى اللّه أن يتم عليك الصحة والعافية ويعيننا جميعا على طاعته.

- هل سنتبع نظام العام الماضي.. ربع جزء كل ليلة.

- إن شاء اللّه.. لقد تعود الناس على هذه الصلاة وتقبلوها..

رمضان خير بداية

- قررت أن أقلع عن التدخين نهائيا مع بداية رمضان.

- هكذا أنت دائما.. تتخذ قراراً.. تنفذه لفترة - ثم ترجع عنه.

- هذه المرة.. لا عودة.. وستكون آخر سيجارة ليلة أول رمضان.

- ولِمَ الانتظار حتى بداية رمضان.. لم لا تبدأ اليوم. الآن؟

«حمد» وصاحبه.. صديقان منذ أيام الدراسة الجامعية في الولايات المتحدة ينقطعان عن بعضهما لفترات طويلة ثم يعودان لفترات طويلة آخرى. يعرف كل منهما جميع أسرار صاحبه.

سكت حمد..

- لعلك تبحث عن نقطة بداية.. «مشوقة».. لذلك اخترت بداية رمضان أو ربما لتتذكر كل عام هذه البداية وتحتفل بمرور سنة واثنتين وثلاث.. على إقلاعك عن التدخين.

لم يتفاعل حمد مع تفسير صاحبه، كانا في الطريق لزيارة أحدهم في المستشفى..

- كثير من الناس يحدِّثون أنفسهم بأمور كثيرة صالحة مع اقتراب شهر الصيام.. ويبقى الأمر مجرد «حديث نفس» وينقضي رمضان ولا ينجزون من أمنياتهم شيئا.. وأنا شخصياً أعتقد أن أحدنا يستطيع أن يلتزم أي عمل صالح ويستمر عليه، إذا هو عقد العزم على ذلك.

- إن النفس البشرية تتفاوت في قدراتها ولكن اللّه بيّن لنا أنه إذا بدأ الإنسان بالاقتراب إلى اللّه فإن اللّه ييسر له الخطوات التالية.

– لكن لا بد أن يأخذ الإنسان البادرة.. ويبدأ.. خاصة في الفرائض. فيضع الإنسان خطوطاً حمراء لا يتعداها.. كما قال اللّه تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ (البقرة).

- هل لك أن تضرب لي أمثلة حتى تتضح الفكرة..؟

- الخطوط الحمراء للمسلم.. ألا يترك ركناً من أركان الإسلام خاصة الصلاة.. وإذا كان من المتهاونين في هذه القضية يُلزم نفسه في رمضان أن يحافظ على أدائها في وقتها جماعة.. ويستمر بالمحافظة.. ويلتزم بذلك كل عام.. وهكذا.

- ظننت أنك تعني بالخطوط الحمراء الذنوب والمعاصي.

- وأيضا للمسلم خطوط حمراء بالنسبة للذنوب.. فهو يجتنب الكبائر.. وإن كان من الذين وقعوا في الكبائر - مهما كثرت - في الماضي فليتب إلى اللّه.. ويعزم ألا يقع فيها مستقبلاً، ويحدّث نفسه أنه إذا ارتكب شيئاً منها يعود ويستغفر اللّه ويتوب إليه. مهما كان الذنب.. ومهما تكرر. إعترض حمد على مقولة صاحبه.

- ولكن لا ينبغي للمسلم أن يتوب من الذنب ثم يعود إليه ثم يتوب ثم يعود إليه.. هذا من العبث في دين اللّه.

- بل يجب على المسلم أن يتوب بعد كل ذنب.. ولكن يجب أيضا أن

يكون صادقاً مع اللّه مخلصاً في توبته، فإذا وقع في الذنب مرة أخرى تاب مرة أخرى ولذلك يجب على المسلم أن يعالج قلبه دائما. ويعوّده الإخلاص والصدق مع اللّه ويحدّث نفسه بأن اللّه يريد منه الاستغفار ويحب منه التوبة، بل ويفرح ربنا إذا تاب عبده، مهما عظمت الذنوب وكثرت الخطايا.. ورمضان خير بداية.. للتوبة.. وخير بداية لإلتزام أوامر اللّه.. وخير بداية أن يغير الإنسان من مساوئ نفسه.

قبل أن تصوم

وقد بقي على رمضان أيام قليلة رافقت صاحبي في زيارة أخيرة لسوق السمك.. كنا قد أدينا صلاة العشاء... بدت الشوارع مزدحمة رغم أننا في منتصف الأسبوع...

ـ الجميع يجهز لرمضان..

ـ ليتنا جهزنا قلوبنا.. التي امتلأت من الدنيا...

ـ لا تكن مُنفِّراً.. الناس فيهم خير كثير.. وهم يحبون شهر رمضان..

ـ أنا لم أنكر الخير الذي في الناس.. نريد لهذا الخير أن يخرج أعمالاً.. ويترجم إلى معاملات وأخلاق.. إعلامنا قلب شهر رمضان إلى سهرات ومسلسلات أسموها.. «رمضانية»... وأسواقنا ومقاهينا قلبت ليل رمضان إلى نهار.. بقي من رمضان فقط الامتناع عن الطعام والشراب.. (صوم الجوع والعطش).. نسأل الله العافية..

ـ هذه نظرة تشاؤمية.. انظر إلى المساجد.. تمتلئ في ليالي رمضان.. للعشاء والتراويح..

قاطعته..

ـ والفجر؟

ـ شيء أفضل من لاشيء!!!

ـ هـذا الشـيء لا قيمة له إن كـان مجـرد عـادة.. يـؤدون العشاء والتراويح.. يبحثون عن الأقصر صلاة.. والأخف قياماً.. ثم الدواوين والأسواق واللهث وراء الدنيا.. قلوب امتلأت بحب المال.. قلوب شغلها الحسد.. والتنافس على الدنيا.. قلوب غفلت عن الآخرة هذه القلوب يجب أن تنفض قبل التفكير في الصيام.. لأن هذه العبادة لم تشرع إلا للتقوى.. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ (البقرة).. والتقوى محلها القلب.. ولا مكان للتقوى في القلب المشغول بالدنيا عن الآخـرة.. لا مكان للتقوى في قلب مريض... فمن أراد أن يتجهز لرمضان فليجهز قلبه.. بحب الخير.. والبعد عن الشر.. بالإحسان.. والعفو.. وصلة الرحم.. وعيادة المريض.. وإعانة المحتاج.. بالاجتهاد للآخرة.. والتقليل من الدنيا.. فالسفر بعيد والزاد التقوى.. فمن تزود للسفر نجا.. ومن لم يتزود انقطعت به الأسباب ولم يبلغ المنزل...

ـ وماذا تريد من العامة؟!

ـ أريد مسلمين.. كما أرادهم الله.. (لم تغرهم الحياة الدنيا).. أريد مسلمين يتعاملون مع الله عز وجل.. يعطون وقتهم وجهدهم وأموالهم لله.. موقنين أنهم سيجدون كل ذلك عند الله هو خيراً وأعظم أجـراً.. أريد مسلمين يثقون بما عند الله أكثر مما يثقون بما عندهم.. يؤمنون بأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق.. لماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم.. «**والصدقة برهان**» (مسلم).. وكل هذا منبعه القلب.. هذه المضغة التي «**إن صلحت صلح سائر الجسد وإن فسدت فسد سائر الجسد**».. (متفق عليه) نحتاج إلى أن نغسل قلوبنا.. ونزينها.. لرمضان قبل أن نشرع بالصيام...

الصوم.. لا مثل له

عبدالله من الشباب الذين أرجو الله أن يجعلهم من المصلحين في هذا المجتمع.. بدأ من قرابة العام الإلتزام بحلقات الدروس العلمية.. وبالعمل على تطبيق ما يتعلم والسؤال عما لا يعلم.. في فترة استلم مسؤولية الأذان حيث إن مؤذننا سافر في إجازته السنوية.

كانت الساعة «١١,٣٠» ظهرا فإذا به يؤذن للظهر وكان موعد الأذان «١١,٣٧»!! أسرعت بالذهاب إلى المسجد.. نبهته إلى الأمر.. بعد الصلاة انتظرني بعد أداء السنة سار معي..

- ما الطريقة أن ينال الإنسان التقوى؟!

وهكذا أسئلته في معظمها..

- التقوى شيء عظيم يسعى المؤمن لتحصيلها حتى يتوفاه الله.. لأنها الغاية من العبادات كلها.. ومن تحصلها «نجا».. و«فاز».. والطريق لتحصيل التقوى «العلم والعمل».. دون توقف.. والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة..

- هلا تذكر لي تفصيلاً أكثر.

- يقول الله تعالى.. ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ (محمد).. ويقول عز وجل ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر).. ويقول الله

في الحديث القدسي.. «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**» (البخاري).. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم.. «**التقوى ها هنا التقوى ها هنا التقوى ها هنا**» وأشار إلى قلبه.. (مسلم) وقال بعض العلماء: «التقوى أن تعبد الله على نور من الله ترجو ثواب الله».. فمحصلة هذا كله.. أن التقوى يتحصلها المسلم بأن يأتي بالفرائض.. يتعلمها ويأتي بها.. في العقيدة والعبادة.. وينتهي عن المحرمات.. الظاهرة والباطنة..

ـ الظاهرة هي المعاصي؟ ماذا عن الباطنة..

ـ الباطنة هي ذنوب القلب.. مثل النفاق..الكبر.. الحسد.. التوكل على غير الله.. الخوف من غير الله.. البغضاء.. وهكذا.. الأمور القلبية.. فإذا إلتزم المسلم ذلك.. وكلما سقط في شيء منها استغفر وتاب ورجع إلى الله.. فإنه يجاهد نفسه على النوافل.. من صلاة وصيام وصدقات.. وغير ذلك.

ـ يعني.. يعمل كل ذلك..

ـ يعمل ما يستطيع.. ويستمر على هذا الدرب ولكن لا يحمّل نفسه ما لا يطيق حتى لا ينقلب عن الطريق.. ويستعين بالله دائما..

ـ كيف يستعين بالله!!

ـ يعلم أن التوفيق في أداء الطاعات لا يكون إلا من الله فلا يغترّ بنفسه ويدعو الله دائما أن يوفقه ويثبته «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك**» (السلسلة الصحيحة).. ويأتي النوافل التي يحب أن يأتيها..

ـ كيف ذلك؟

ـ إذا كان يحب القرآن يكثر منه.. إذا كان يحب الصلاة يكثر منها.. إذا كان يحب الصيام يكثر منه.. إذا كان يحب الدعوة إلى الله يكثر منها.. وهكذا يأتي من النوافل ما يورثه خشوعاً أكثر وإيمانا أقوى..

ـ وماذا عن الصيام.؟

ـ لقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم أبا أمامة عندما سأله النصيحة قال له «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**» (صحيح النسائي).. الصيام يذكرك بمراقبة الله والامتناع عن المحرمات واستغلال الوقت في الطاعات وينمي في الإنسان التقوى.. إنه بحق لا مثل له..

الصوم لا مثل له..(٢)

ـ أراك واصلت الصيام منذ الأسبوع الأول من شعبان وكنت أظنك لا تصوم إلا رمضان!!

ـ لقد منّ اللّه علي هذا العام فعقدت العزم على صيام شعبان اقتداء بسنة النبي صلى اللّه عليه وسلم.. خاصة أن الجو معتدل وساعات النهار قصيرة وأريد أن أكسر الحاجز النفسي الذي يجعل الصيام صعباً لما يصاحبه من صداع وضعف وغير ذلك من مظاهر أظنها نفسية لا عضوية.

ـ أغبطك على هذه العزيمة.. فالأحاديث في فضل الصيام تجعل المرء يتمنى أن يكون صائما معظم العام.. مثلا.. حديث (باب الريان) (متفق عليه).. الذي لا يدخله إلا الصائمون.. يكفي أن يكثر الإنسان من الصيام حتى يكتب في الصائمين..

كنت وصاحبي نتمشى بعد صلاة العصر.. مشية استرخاء هادئة بموازاة شاطئ البحر..

ـ عندما أتى أحد الصحابة.. ولعله (أبو أمامة).. رضي اللّه عنه فقال: يا رسول اللّه دلني على عمل أدخل به الجنة.. قال صلى اللّه عليه وسلم: «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**» (صحيح النسائي).. هذا الحديث من علامات النبوة فعلاً.. مهما كان حال الإنسان الإيماني.. فإن الصيام يعالجه وينفعه.. أعني الصيام الصحيح.. بصدق مع اللّه.. إن كان ضعيف

الإيمان.. زاد إيمانه.. إن كان صاحب شهوة.. كسرت شهوته.. إن كان قاسي القلب.. رق قلبه.. إن كان صاحب كبر.. ضعف كبرياؤه.. إن كان صاحب رياء.. ذهب رياؤه.. الصائم يمنع نفسه الأكل والشرب والجماع والكذب والظلم وأكل حقوق الآخرين والغيبة والنميمة.. كل هذا بينه وبين اللّه.. دون علم أحد.. وإلا فإنه لا ينال من صيامه إلا الجوع والعطش كما أخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم.. فأحاديث الصيام تعالج النفس البشرية من كافة جوانبها.. لا أريد الجوانب الحسية البدنية.. بل القلبية الإيمانية الروحية.. وهذا كله لا يتأتى إلا بالصيام.. من اختار الصيام.. طوعاً.. اختار أن يراقب اللّه طول يومه.. ومن اعتاد مراقبة اللّه طول يومه.. اكتسب هذا الخلق العظيم.. ونال التقوى.. وهذا معنى قول اللّه تعالى.. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (البقرة).

ـ إنك تصور الأمر وكأنه سهل يسير.. والواقع أن الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس وإرغام لها على مراقبة اللّه حتى لا يضيع أجر الصيام..

ـ هذه النقطة التي أريد بيانها.. إن الأمر يصبح أسهل بالصيام منه بدون الصيام.. نسبياً.. وليس على الإطلاق.. كم من صائم لا ينال من صيامه شيئا.. لأنه يغفل عن أهم أركان الصيام.. مراقبة اللّه في الخفاء.. لا العلانية فحسب.

ـ وهل الذي لا يلتزم مراقبة اللّه يعتبر فاطراً؟!

ـ فقهاً.. كلا.. ولكنه كالعامل الذي لا ينال أجره نهاية اليوم لأنه لم يأت بما طلب منه.. ويأتي يوم القيامة.. لا يجد للصيام أجراً.. فلم ينل من صيامه (إلا الجوع والعطش).. وهذا بلا شك هو الخُسران المبين.. تعب وجوع وعطش وامتناع عن الشهوات.. ثم لا أجر على كل هذا.

ـ ليتك تذكر حديثا تؤيد ما تقول.. لا أني لا أصدقك ولكن أحاجج به الآخرين الذين لا يعتقدون بهذا الكلام.

ـ حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم.. «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» (صحيح البخاري). وحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**» (صحيح الترغيب والترهيب)

الصيام جُنَّة

ـ ها نحن نُقبل على شهر الصيام وليس لدينا من أواني الطبخ والخدمة ما يكفي.. معظم الزجاجيات تكسرت.. وباقي الأواني عاشت أكثر من عمرها الافتراضي.

هكذا بدأت حديثها معي وقد استرخيت على الأريكة أتناول الشاي بعد صلاة العصر.

ـ وكم تحتاجين للاستعداد لرمضان؟

ـ أي شيء.

وعبارة (أي شيء) تعني ميزانية مفتوحة وتعلم صاحبتي أنني لا أتعامل بميزانيات مفتوحة.. شاركتنا ابنتي الكبرى.. سألتها.

ـ ما نيتك لشهر رمضان؟

ـ متى سيأتي رمضان؟

ـ ألا تعلمين أننا في منتصف شعبان الآن.

ـ لن أفعل شيئا.. الصيام كالعادة.

ـ ليتك تغيرين شيئاً في حياتك خلال هذا الشهر الكريم.. ليتك تحفظين سورة جديدة.. أو تقرئين كتاباً جديداً ينفعك في حياتك وبعد مماتك.

ـ بصراحة.. أنا مقتنعة بما أنا عليه..

تدخلت أمها..

ـ ليتنا ننتهي من السوق قبل دخول رمضان فأنا أكره التسوق أثناءه.

ـ تعالوا نتفق على أمر.. كل من يحفظ سورة معينة يحصل على مبلغ مقابل حفظه.

لم ترق لهم فكرتي.. ولم يوافقوا عليها بحجة أنهن يحفظن ويقرأن دون رغبة في الإلتزام معي.. وهي حجة لعدم حفظ شيء!

ـ ليتنا نستذكر الأحاديث في فضل الصيام حتى يكون لنا أجر في الصيام.. مثلا «**الصيام جنَّة**» (صحيح النسائي).

ـ لقد قرأت الحديث على أنه «**الصيام جَنَّة**» .

ـ بل «الصيام جُنَّة» بمعنى أنه حماية ووقاية من النار.. ومن الذنوب ومن الشيطان.. «الجُنَّة».. هي الدرع الذي يتقي به المحارب من أعدائه الذين يعلمهم والذين لا يعلمهم.. حتى من نفسه.. و«الصيام الجُنَّة» هو الذي يكون وفق شريعة الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً.. بالامتناع عن المفطرات الحسية.. من طعام وشراب وغيرهما.. وكذلك الذنوب غير الحسية كالكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة.. هذا الصيام يحمي صاحبه من الأخطار.. والمتهاون في هذه العبادة العظيمة يضيّع على نفسه فرصة ذهبية لتحصيل الأجر وتربية النفس وتزكية الأخلاق.. والذي لا يتحصل التقوى في رمضان فلا أظن أنه يتحصلها أبدا.

إيماناً واحتساباً

ـ إن المسلم يجب أن «يتمرن» على أن يجعل أعماله ولاسيما العبادات إيماناً واحتساباً.

قاطعني.

ـ ولكن أليس الحديث خاصاً بالصيام؟!

ـ تعني حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً**» (متفق عليه)؟!

ـ نعم.

ـ كلا، الأمر لا يتعلق بالصيام فحسب، ولكن إذا كان الصيام ـ وهو أبعد العبادات عن الرياء ـ يحتاج أن يعمله الإنسان إيماناً واحتساباً إذا كان يريد الأجر، فمن باب أولى جميع العبادات والأعمال الأخرى، مثلاً الحجاب، هناك من تتحجب إيماناً واحتساباً. وهناك من تتحجب عادة أو تقليداً، أو كفّاً للشر، من أهلها.

تلك التي تتحجب إيماناً واحتساباً تريد رضا الله عز وجل، فتحرص أن يكون حجابها كما يرضي الله أمام أهلها وبعيداً عن أعينهم. أما تلك التي تتحجب لأي سبب آخر، لا رادع عندها أن ترتكب أكبر الذنوب، وحجابها على رأسها!! وربما كان الحجاب أمام ذويها في وضع يختلف عن وضعه عندما تغيب عن أعينهم.

وكذلك الصلاة، إيماناً واحتساباً تختلف عن الصلاة لأي سبب آخر،

وكذلك طلب العلم والدعوة إلى اللّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجميع الأعمال والعبادات.

كنت وأبو وليد جالسين أمام المسجد ننتظر أذان العشاء، شاركنا المجلس أبو محمد مؤذننا، بعد أن ألقى نظرة على ساعة معصمه.

ـ أمامنا سبع دقائق حتى موعد الأذان!!

سأل أبو وليد.

ـ وهل هناك معنىً واحداً لـ «إيماناً واحتساباً»؟!

ـ في حديث الصيام رتب الرسول صلى اللّه عليه وسلم الأجر الكامل على هذه الحالة أي من صام رمضان، وحالته أنه مؤمن بأن الصيام أمر من عند اللّه يجب أن يؤديه، ويحتسب الأجر، أي يرجو أن ينال الأجر من اللّه، «**غُفر له ما تقدم من ذنبه**»، وهذه الحالة ترجمة أخرى ، لـ«الإخلاص والمتابعة» ومن أراد لعمله القبول فيجب أن يخلص للّه، ويتبع الرسول صلى اللّه عليه وسلم فيما يعمل، وحيث أن الصيام لا مجال فيه للرياء بقي فيه تأكيد الإيمان، والتذكير بالأجر، أما الأعمال الأخرى فتحتاج الإخلاص حتى لا تكون رياء، وتحتاج الاتباع حتى لا تكون بدعة، وتحتاج الإيمان حتى لا تكون عادة، وتحتاج الاحتساب حتى لا تكون دنيوية، والمؤمن يذكر نفسه عند الشروع بأي عمل أنه يعمله «إيماناً واحتساباً» إذا عاد مريضاً، أو اتبع جنازة، أو قضى حاجة عبد آخر، أو فرج همّاً، أو نفَّس كربة، أو أسقط دَيْناً ، يرجو بكل ذلك رضا اللّه والثواب من عند اللّه، وإلا نقص الأجر بقدر ما تنقص لوازم الأجر.

رسالة إلى مفطر

لا أدري كيف أصف شعوري عندما رأيتك تحمل كوب القهوة وتحتسي منه رشفة في الممر قبل أن تدخل مكتبك وتغلق الباب خلفك.. ولا يهم كيف شعرت وكيف ينظر إليك «الفراش» الآسيوي المسلم.. تساؤلات ازدحمت في رأسي.. لماذا؟ هل تريد أن تقول إنك في خصام مع الله؟ أم تريد أن تثبت أنك لا تأبه بما نقول عنك أو نعتقد فيك.. لا تهتم لرأينا.. ولكن لماذا تخاصم ربك وتعلن عناده على الملأ؟ هل تريد أن تقول.. ها أنا أيها الرب.. أخالفك جهاراً نهاراً.. وأتمرد على شرعك أمام الملأ.. إئتني بعذابك!! هل تريد أن تتحدى الله عز وجل..أتراك حقا تريد التحدي؟ أم أنك لا تؤمن أن هناك إلهاً يأمر وينهى ويغضب ويعذب ويعاقب ويعطي ويمنع؟ هل تنكر وجود الله عز وجل؟! لا أظن ذلك.. إذن هل تنكر أنه سيحاسب الناس على أعمالهم فيثيب المطيع ويعاقب العاصي؟ لا أظن ذلك.. إذن ما الفكرة؟ لماذا الفطر في نهار رمضان؟ ولماذا المجاهرة وإعلان الفطر على الملأ؟

منذ رأيتك ـ قرابة الساعة العاشرة صباحا ـ وحتى الآن حيث الساعة تقترب من الحادية عشرة ليلا.. وأنا أتساءل.. كلما انتهيت من مشاغلي قفزت صورتك أمام ناظري وتزاحمت الأفكار في رأسي.. أبحث عن إجابات.. فأعجز.. أغلب ظني أنك تؤمن بوجود إله.. ولكنك لا تأبه لأوامره.. وتعتبر كل تصرفات الإنسان تندرج تحت «الحرية الشخصية».. وإن كان هناك حساب بعد الموت فليكن.. أما الآن فأنت تعيش يومك كما

تريد وكما ترى من خلال فكرك وثقافتك.. ولكن.. ألا تشعر بالغربة إذا اجتمعت مع أهلك.. والدك.. والدتك.. بل زوجتك؟.. لأني علمت أنها تصوم وتصلي في رمضان.. ألا تشعر أنك مختلف بطريقة شاذة خاطئة؟! ربما شخصيتك قادرة على إبعاد هذا الشعور وتخَطّي هذه الأفكار.. بصراحة.. لا أستطيع أن أقبل ما رأيت أمام عيني.. لقد وجدت الإجابة الصحيحة لكل تساؤلاتي.. أنت مصاب بمرض مزمن.. ربما قرحة في المعدة.. أو فشل كلوي.. يضطرك لأخذ السوائل كل ساعتين ولا تستطيع الانقطاع عن الطعام والشراب لأكثر من أربع ساعات وإلا تدهورت صحتك لذلك أنت لا تصوم.. وبالطبع فإنك تطعم عن كل يوم مسكيناً.. نعم هذه الإجابة التي يستطيع عقلي أن يتقبلها.. ولكن ليتك لا تظهر فطرك أمام الجميع.. فلئن كنت أنا قد توصلت إلى الإجابة التي تقنعني بعد جهد طويل فإن غيري لا ينظر إليك هكذا؟!

رمضان.. شهر القرآن

منذ بدأنا الصيام وأنا وصاحبي نقضي ساعة بعد التراويح نمشي رياضة... نسميها رياضة وليست منها في شيء.

ـ سمعت في إحدى الفضائيات نقاشاً حول نزول القرآن في رمضان وأن المقصود بليلة القدر هي تلك الفترة الزمنية التي امتد فيها نزول القرآن منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى اكتمال نزوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

ـ هذه طائفة «الأحمدية».. وهي منتشرة في الهند وبعض دول شرق آسيا، وعند هذه الطائفة من المخالفات في العقيدة والتشريع ما يجعلها خارج الملة الإسلامية.. نعم القرآن نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة.. وهذا من السماء إلى الأرض.. أما نزوله في «ليلة القدر».. فهذا ثابت في كتاب اللّه.. يقول ابن عباس: أنزل اللّه القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.. والأحاديث في أن المقصود بليلة القدر لا ينكرها إلا جاهل!!

ـ وهل نستطيع أن نسمي شهر رمضان.. شهر القرآن؟

ـ نعم.. ففي هذا الشهر أنزل... وفيه كان يدارس جبريل الرسول صلى اللّه عليه وسلم القرآن بمعنى يقرأ عليه.. وفي آخر سنة قرأه عليه مرتين.. وقراءة القرآن أعظم العبادات.. بل كان السلف يتركون طلب العلم الشرعي لأجل مدارسة القرآن في رمضان.

توقفنا عند «عربة» المشروبات الباردة.. اشترينا حاجتنا..

ـ وهل يجب ختم القرآن في رمضان؟

ـ لم يقل أحد إنه واجب.. ولكن تخيّل أن يتم الإعلان عن إنشاء شركة مساهمة الربح فيها أضعاف.. لِنَقُل عشرة أضعاف.. ومن لم يكن له مال يُعطى مالاً لمجرد أن يذهب ويسجل اسمه ويبذل شيئا من الجهد.. ويأخذ رأس المال والأرباح.. بعد أن يبذل الجهد.. والربح يزداد أضعافاً إذا زاد الجهد.. وأحدهم يقول: لاحاجة لي بذلك.. مع أنه لا يجد ما يأكل.. بم يصف الناس هذا الإنسان؟...

ـ مجنون أو مجنون...

ضحكت من وصف صاحبي..

ـ فالمسألة أعظم من ذلك في رمضان.. الأرباح تُدّخر إلى يوم أحوج ما يكون فيه المرء إلى الأجر، تُدّخر إلى يوم ينظر العبد فيه أيمن منه فلا يرى إلا النار.. وينظر أشأم منه فلا يرى إلا النار.. ويستنجد بالولد فلا يجاب، وبالوالد فلا يرد.. وعمله بين يديه...

هذا الموقف العصيب.. حين يبحث المرء عن الحسنة الواحدة.. يأتي الأجر العظيم للصيام.. بل ويدافع الصيام عن صاحبه.. ويشفع له...

بم تصف بعد ذلك عبداً.. دخل رمضان.. ثم انسلخ ولم يجتهد فيه؟!

ـ هذا وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث: «**تعس عبد أدرك رمضان ثم انسلخ.. ولم يغفر له**» (صحيح الجامع)..

ـ ألا يحق لنا بعد ذلك أن نشعر بالمِنّة العظيمة لله علينا أن بلَّغنا رمضان.. ألا يحق لنا أن نفرح أن شرع لنا الصيام.. ألا ينبغي لنا أن نشرف بالصيام.. ونسعد بالقيام.. ونأمل من كل ذلك أن ننال الأجر العظيم من الله يوم القيامة؟!

صوم لا أجر فيه

ما معنى حديث النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم «**يقول الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به...**» (متفق عليه) كيف تكون جميع الأعمال لابن آدم عدا الصوم للّه؟

ـ الحديث ذاته في رواية أخرى تبين المعنى.. حيث يقول اللّه تعالى في الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**» (متفق عليه).. فالقاعدة في الأجر على الأعمال الصالحة أن الحسنة بعشر أمثالها.. كحد أدنى.. ثم قد يضاعف اللّه الأجر إلى سبعمائة ضعف فضلاً منه عز وجل كما قال سبحانه... ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ (البقرة) فهذه الحبة أنبتت سبعمائة.. هذا في عموم الأعمال الصالحة عدا الصيام فإن أجره لا يخضع لهذه القاعدة حيث إن الأجر عند اللّه على الصيام بغير حساب.. كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ (الزمر).. فهذا معنى الحديث إن شاء اللّه.

ـ إنه لفضل كبير.. أن ينال الإنسان أجر الصيام بغير حساب.

ـ هذا ليس لكل من صام.. أي صيام.. فالقاعدة أن كمال الأجر مع كمال العمل.. فقد أخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم: «**رب صائم**

ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» (صحيح ابن ماجه).. وهذا حظ من صام عن الطعام والشراب.. كما جاء في الحديث الصحيح.. «**ليس الصيام عن الأكل والشرب ولكن الصيام عن اللغو والرفث**» (صحيح الترغيب والترهيب)، وجاء الحديث الآخر أكثر صراحة وأشد تحذيرا.. «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**» (صحيح البخاري).. وهذا من باب المثال لا من باب الحصر.. فالذي يكذب لم ينفعه صيامه.. وكذلك الذي يغتاب.. وكذلك الذي يقطع الأرحام... وكذلك الذي يفرّق بين الناس.. وكذلك الذي يظلم... وهكذا.. وما أكثر من يقع في كل هذه «المحبطات» وهو يظن أنه صائم.

كنت وصاحبي في الطريق إلى محلات التمور.. وثالثنا في المقعد الخلفي يؤيدني وطلب مني المزيد ليثبت نقطته بأن إفطار كثير من الناس خير من صيامهم...

ـ يا أخي.. يصوم أحدهم.. فيأتي العمل متلثما.. يجر كرسيه بلا اكتراث.. وربما ألقى ملفات مهمة على مكتبه تتساقط منها أوراق أو تتبعثر.. هكذا.. دون اكتراث.. وإذا أتم معاملة واحدة فقد أنجز كل ما هو مطلوب منه ذلك اليوم.. والمعاملة الثانية يتصدق بها على صاحب المصلحة وربما نهره أو أخر معاملته بحجة أنه صائم.

ـ هذا قد يحصل من بعضهم ولكن ليس من الجميع ولا نستطيع التعميم.. أنا شخصيا أعلم أن هناك من ينجز من الأعمال في رمضان أضعاف ما ينجزه في الفطر.. بروح طيبة ونفس مرحة وابتسامة.. ولكن

ذلك الذي تتحدث عنه أخطأ في فهم معنى الصيام وظن أنه سهر الليل والامتناع عن الطعام والشراب في النهار.. فضاع صيامه وهو يظن أنه «يحسن صنعا».. وأنه من أهل الريّان.

- ولكنك لا تكثر من قراءة القرآن في رمضان.. ولا تحرص على صلاة الجماعة رغم أن المساجد مليئة والجماعة سهلة في هذا الشهر الكريم.

- في الواقع.. أنا قليل الذهاب إلى المساجد لأن معظم الذين يذهبون إلى المسجد بقرب منزلنا «منتنون».. جواربهم تنبثق منها روائح... أجسامهم تنشر رائحة العرق.. ثيابهم وسخة.. حتى أنهم أنتنوا رائحة السجادة.. أسجد فلا أستطيع شم الرائحة.. لذا قررت مقاطعة المسجد إياه...

- لا يا أبا ياسر.. عليك بالجماعة ولا تدع الشيطان يزين لك الانقطاع عن المسجد.. إحرص على القرآن والجماعة.. وتجنب المواقع التي قد تتأذى منها.. الحرص على الطاعة يسهلها.. وإلا فكما قال ذلك الذي لا يريد الصلاة في المسجد «بركة يا جامع»... وجد سبباً ألا يذهب إلى المسجد.

فرحتا الصائم

ـ بصراحة لا أفهم تصرف المتدينين ومنطقهم.. يحرمون أنفسهم من الطعام والشراب طوال النهار ومع أذان المغرب يتربعون على مائدة احتوت كل ما يمكن أن يحتويه بوفيه فاخر.. فتشتغل أفواههم حتى أذان العشاء.. وربما إلى ما بعد الصلاة.. ثم يصلّون.. ويأكلون.. ويشربون.. وباعترافهم جميعا.. يأكلون في رمضان أكثر من غيره.. إذن ما فائدة الصيام.. وكيف يمكن لهؤلاء أن يشعروا بجوع الفقراء أو حاجة المساكين.

ـ وما الذي تريده؟ ألا يصوموا؟ أم ألا يأكلوا؟

ـ أريد ألا يبالغوا في وصف فوائد الصيام وفرحة الصائم.. والمثاليات التي يذكرونها وأظنهامن نسج الخيال!

ـ لمَ تقول إنها من نسج الخيال؟ إذ ثبت في الحديث أن الرسول صلى اللّه علَيه وسلم قال: «**لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» (متفق عليه). ما الخطأ في بيان هذا الحديث.. هل تعترض على أن رائحة فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك.. ربما أنت لا تحبها ولكن اللّه يحبها.. وهي كالمسك عنده عز وجل.. وإذا قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم .. للصائم فرحتان يفرحهما.. «**إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**» (متفق عليه). ما الاعتراض على هذه الحقيقة.. الفرحة عند الفطر.. فرحة الإنجاز.. وفرحة أداء الواجب وإتمام المهمة.. والفرحة عند لقاء اللّه فرحة الجائزة الكبرى ونيل الشهادة الأخيرة والتميز بين الخلائق بأن يدخل الجنة من باب لا يدخله غير الصائمين.. (باب الريان)..

قاطعني:

- هذه نقطتي.. الصائمون يدخلون من باب الريان.. هذا مجرد أسلوب لحث الناس على العمل لا أكثر ولا أقل.

- لِمَ تعترض على قضايا لا مجال لإخضاعها للتجربة العملية لأنها من الغيب.. ألا تؤمن بالغيب.

- ليس كل ما يُذكَر.. ولكن أؤمن بالمعقول.. مثلا أؤمن بالملائكة.. أؤمن بأن هناك جنة وناراً.. أؤمن بوجود الله.. ولكن لا أؤمن بوجود حيَّات في القبر.. ولا أن القبر يضيق حتى تنطبق الأضلاع بعضها على بعض وغير ذلك من الأمور.

- وما معيارك أن تؤمن بهذا دون ذاك؟! كُلّه غيب.. وقوانين الغيب لا يمكن قياسها بالعقل إمّا أن تؤمن بها جميعاً أو تنكرها جميعاً.. لأن مصدرها واحد.. أحاديث صحيحة وآيات من كتاب الله عز وجل.. وعلى أي حال.. لا أدري من أين يمكن أن تبدأ ولكن أعلم أن الذي يؤمن بـ٩٠٪ من الغيب وينكر ١٠٪.. يكفر بالله.. فالذي مثلا يؤمن بكل شيء ولكن لا يؤمن بالجِنِّ يكفر بالله.. وهكذا قضايا الإيمان كلها يجب أن تؤمن بها كلها.. مثلاً الذي يؤمن بجميع الرسل إلا إدريس وينكر وجوده ونبوته يكفر.. يجب أن تؤمن بهم جميعا.. ولا خيار في ذلك، وأنا على يقين أن خيراً كثيراً يفوتك بعدم الصيام ولن تعرف كيف نفرح بصيامنا وفطرنا مهما حاولت أن أشرح لك!!

مضاعفة الأجر في رمضان

ـ شهر رمضان ترتبط فيه أمور غيبية يجب الإيمان بها.. وعلى قدر هذا الإيمان ترتفع الهمة وتقوى العزيمة على الطاعات..

ـ هل تعني أن الإيمان بهذه القضايا يتفاوت من شخص لآخر؟!

ـ نعم.. مثلاً... الجميع يعرف أن أبواب النيران تغلق.. وأبواب الجنان تفتح.. وتصفد مردة الشياطين.. ولكن مِن الناس مَن يؤمن يقيناً كأنما يرى هذه الأمور الغيبية بقلبه.. فينتهز هذه «الحالة» ليتعرض لنفحات الرحمة الإلهية.. يرجو المغفرة والقبول ليكون من أهل هذه الجنان.. ومنهم من يسمع هذه الأحاديث وكأنها حكايات وقصص لا تحرك فيه ساكناً، ولا تبعث فيه همة لعمل أي شيء... وبعض الناس ينكر حقيقة هذه الأمور.. وشتان بين هذا وهذا...

صاحبي دقيق في أسئلته.. يفصل في كل شيء..

ـ أظن أن أكثر ما يبعث على العمل الصالح في رمضان.. مضاعفة الأجر.. كأنك تقول على سبيل المثال: المردود خلال هذا الشهر عشرة أضعاف المردود في الأشهر الأخرى..

ـ هذا صحيح بالنسبة لمعظم الناس.. يؤمنون أن الحسنات تتضاعف في رمضان..

ـ ولكن كيف تكون مضاعفة الحسنات.. وهل السيئات أيضا تتضاعف؟

ـ مضاعفة الحسنات قضية توقيفية.. بمعنى أن اللّه سبحانه وتعالى يتفضل على عباده في أوقات معينة.. أو أماكن معينة.. فيضاعف فيها الأجر.. ومضاعفة الأجر.. بمعنى أن العامل ينال حسنات أكثر من المعتاد بأضعاف يخبر عنها اللّه عز وجل.. وأول الأعمال التي تضاعف في رمضان.. الصيام ذاته.. فإن أجره ليس كسائر العبادات.. الحسنة بعشر أمثالها.. وربما.. إلى سبعمائة ضعف.. ولكن أجر الصيام.. عند اللّه.. دون تحديد «للسقف الأعلى» «**إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**» (متفق عليه).. والصدقة أجرها أعظم في رمضان.. وقراءة القرآن.. والنوافل.. وكل عمل خير في رمضان أكثر ثواباً من غيره من أشهر السنة.. فهي فرصة للمؤمن أن يكثر من الطاعات ليتزود من الأجر الكثير.. على العمل القليل.. وهنا ينبغي أن يجدد المرء نيته في أعمال الخير.. فيخلص النية للّه.. ويحرص أن يوافق عمله سنة النبي صلى اللّه عليه وسلم.. لينال هذا الثواب المضاعف..

استدرك صاحبي...

ـ وماذا عن السيئات؟!

ـ نعم.. السيئات إثمها أعظم في رمضان.. والجرم في الصيام أعظم من الجرم في غيره.. كما أن الإثم في المسجد الحرام أعظم من الإثم في غيره.. وذلك أن دواعي الإثم ضعيفة أو منعدمة.. فالآثم لا يذنب في رمضان لمجرد هفوة أو غفلة... وإنما عن إصرار وتعمد ورغبة في معصية الخالق واتباع الهوى.. فالإثم أكبر والذنب أعظم..

والفجرُ.. خير من ليلة القدر

أخبرني صاحبي عن رغبته بالعمرة ليوم واحد.. اتفقنا أن أقوم بالترتيبات اللازمة.. هاتفت مكاتب السفر.. أَمّنوا لنا مقاعد الذهاب والإياب.. ولكن رفضوا حجز غرفة لليلة واحدة.. وذلك أنهم ـ جميعا ـ لا شك لديهم أن جميع ما عندهم سيتم بيعه.. تابعت صلاة التراويح في الحرم عبر التلفاز.. سألت من قدموا من العمرة.. الجميع اتفقوا أن الزحام (غير طبيعي).. هذا العام..

إلتقيت صاحبي بعد التراويح..

ـ أظن أنه من الأفضل أن نؤجل عمرتنا إلى ما بعد رمضان.. تكون قد أجريت العملية التي تحتاج إليها.. فالزحام هذا العام غير طبيعي.. لا أدري ما السبب..

ـ وعي الناس.. وتوفر المال.. وإعلانات الصحف.. التي نافست إعلانات رحلات الصيف.

ـ جميل أن يحرص الإنسان على الأجر.. ولكن المبالغة لا داعي لها.. نعم قال صلى الله عليه وسلم: «**عمرة في رمضان كحجة معي**» (صحيح البخاري).. وذلك تطييبا لخاطر أم المؤمنين لأنها لم تحج معه.. لكن الناس يتكلفون هذه الطاعة.. ويكفي عمرة واحدة في رمضان.

ـ هذا ولم تبدأ العشر الأواخر.. أظنها ستكون مشقة عظيمة هذا العام.

ـ ولا حاجة.. وهذا يذكرني بأناس لا يصلون عامهم كله.. أو حتى

من المصلين.. يقتتلون لقيام ليلة القدر. لا يعبأون بأن يصلوا الفجر في وقتها.. جماعة.. يحرصون على السنة أكثر من الفريضة.

- ولكن ليلة القدر أجرها عظيم.. خير من ألف شهر.. ومن حرم الأجر فيها فهو محروم.

- ومع ذلك كله.. صلاة الفجر خير منها وأعظم..

- ليلة القدر لا تأتي إلا مرة في العام.. أما صلاة الفجر فتتكرر كل يوم.

- هذا صحيح.. ولكن أن يحرص المسلم على قيام ليلة القدر ولا يهتم أن يصحو بعدها لصلاة الفجر.. ولا يحاسب نفسه إن فاتته صلاة الفجر.. فهذا تقديم للمفضول على الفاضل.. وكل الأجر الذي ثبت لليلة القدر.. صلاة الفريضة أعظم أجراً من ذلك كله.. فلقد أخبر صلى اللّه عليه وسلم «**أن ركعتي الفجر خير من الدنيا وما فيها**» (صحيح مسلم).. وهاتان هما السنة لا الفريضة فما بالك بفريضة الفجر.. التي من أداها «**كان في ذمة الله**» (صحيح مسلم)..

- إن إلتزام الناس بالدين أيامنا هذه يحتاج إلى تصحيح كثير من الأمور في العقيدة والعبادة والمعاملة.. أصبحت الأهواء هي التي تزين الأعمال.. لجهل الناس بالكتاب والسنة.. كمن يمتنع عن المفطرات الحسية من طعام وشراب.. ولا يكترث أن يكذب ويستهزئ ويغتاب ويعتدي.. وكأن شيئا لم يحصل.. وينتظر أذان المغرب ليفطر.. وكأنما الصيام شرع للإمتناع عن الطعام والشراب فحسب.. نعم صام.. ولكن (حظه من الصيام الجوع والعطش).. لا مغفرة الذنوب.. ولا العتق من النار.. ولا البعد عن جهنم سبعين خريفا.. ولا الدخول من باب الريان..نسأل اللّه العفو والعافية.

ويمضي رمضان

مضى أكثره ولم يبق إلا القليل.. إجتهدنا.. صمنا وقمنا.. وقرأنا القرآن ونرجو أن ينفعنا كل ذلك عند لقاء الله عز وجل.

ـ بصراحة أشعر أن رمضان ابتدأ وانتهى ولم أتحصل شيئاً في قلبي.. نعم.. لقد ختمت مرتين وهذه الثالثة.. وقمت لياليه.. وأخرجت الزكاة.. ولكن القلب لا يزال كما هو..

ـ لا تدع للشيطان سبيلاً إلى قلبك فيسهل لك أمر الرجوع إلى المعاصي والتقصير في حق الله.. إن معالجة القلب ليست بالقضية السهلة ولكن لا ينبغي اليأس أو التوقف عن هذه العملية.. فالغاية في النهاية (القلب السليم).. ومن استعان بالله صادقاً وبذل الأسباب الصحيحة فإن الله لا يخذل عباده..

كنت وصاحبي في زاوية المسجد بعد صلاة العصر..

ـ وكيف يأخذ الإنسان بالأسباب الصحيحة بعد الإستعانة بالله؟..

ـ هناك قواعد عامة لا ينبغي أن يغفل عنها الإنسان.. أولا هناك أمر يجب ألا يقع به: الشرك.. وأمر يجب ألا يتركه: الصلاة.. وأمور ينبغي أن يحفظها: حقوق العباد.

هذه ثلاثة خطوط حمراء.. يجب على المسلم ألا يتجاوزها في أي حال من الأحوال.. ويعلم أحدنا أن «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين**

التوابون» (صحيح ابن ماجه والترمذي).. وباب التوبة مفتوح ليل نهار.. فمن وقع في شيء من حرمات الله أسرع إلى التوبة والعمل الصالح.. وفي كل هذا يستعين بالله ويدعوه..

- إنك تسهل الأمور.. وهي خلاف ذلك..

- «**إن الدين يُسر ولن يشادّ الدينَ أحد إلا غلبَه**» (صحيح البخاري).. هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا انتبه المسلم إلى الخطوط الحمراء الثلاثة هذه.. يبقى أمامه عملية الإجتهاد في التقرب إلى الله.. ويعلم يقيناً أن أعمال القلوب أعظم من أعمال الجوارح.. فيزيد خوفه من الله.. ومحبة الله والتوكل على الله وحسن الظن بالله.. ويأتي من الطاعات ما يستطيع.. وهكذا يصبح رضا الله هو محور حياته.. يفكر بمنطق (ما يرضي الله).

قاطعني:

- ولكننا نريد أن نبقى كما نحن في رمضان..

- لا يبقى إنسان في ذات المستوى الإيماني.. فإن الإيمان يزيد وينقص والعبد ينشط ويفتر.. ولكن المطلوب في حال الخمول والفتور ألّا يتجاوز الخطوط الحمراء.. أما في حال قوة الإيمان والإقبال على الله فليعمل قدر طاقته.. ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الصافات).. ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (المطففين).. والمسلم مطالب أن يجتهد طول حياته.. لا يتوقف عن مجاهدة نفسه.. ولا

يتوقف عن مخالفة هواه.. تغلبه مرة ويغلبها مرات.. ويخطئ فيتوب ويذنب فيستغفر.. ولكنه في إقبال دائم على الله.. يريد أن ينال رضاه ويحصل على مغفرته ويدخل جنته دون عذاب في ناره.. ورمضان يمضي وقد أعطانا ما يعيننا باقي العام.. وحمل معه أعمالاً نرجو أن تنفعنا عند لقاء الله.

.. والصدقة برهان

ـ إن المتتبع لآيات الله يجد ارتباط أداء الصلاة بإيتاء الزكاة.. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (البقرة).. وكان هذا هو فهم السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم.. أن الصلاة لا تفرق عن الزكاة.. ولهذا سارت جيوش الصحابة لقتال المرتدين.. حيث أنهم لم يرجعوا عن التوحيد إلى الشرك وإنما التزموا بالصلاة.. وأنكروا الزكاة...

كان المتحدث أحد مشايخ وزارة الأوقاف زار مسجدنا وألقى درساً عن وجوب الزكاة.. بعد الدرس أخذت مصحفي لأتمم قراءتي لذلك اليوم.. كانت عشر دقائق.. ثم خرجت فإذا (بوعبدالرزاق) وكان في الزاوية الأخرى من المسجد ـ يضع مصحفه.. ويقبل عليَّ.. خرجنا جميعاً...

ـ عندما أقرأ آيات الإنفاق أجد أن الله يذكر (الصدقة).. أكثر من (الزكاة).. إذا اقترنت بالصلاة ذكر (الزكاة).. وإذا انفردت ذكر (الصدقة).. ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ (التوبة) الآية.. ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة) الآية... ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ (البقرة ٢٦٤) الآيـة... ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ (البقرة ٢٧١).. الآية.

أعجبتني ملاحظته...

- إنها ملاحظة جيدة.. لم تخطر على بالي.. ولكنك تعلم أن كلمة (صدقة) تأتي بمعنى (الزكاة).. وبمعنى الصدقة.

- نعم.. أعلم ذلك.. لنفهم المعنى اللغوي للكلمتين..

- مادة (صدق).. تحمل معنى الإخلاص والوفاء والتحقيق.. و(الصدقة) هي ما يُعطى على وجه التقرب إلى الله عز وجل... أما (زكا).. أي نما وزاد وتطهر.. ولذلك جاء في الحديث.. «**والصدقة برهان**» (صحيح مسلم).. و(البرهان) هو الحجة البينة.. الفاصلة.. فالصدقة حجة بينة على ماذا؟! على إيمان هذا المتصدق.. إيمانه.. بأمور كثيرة.. منها.. أن ماله لا ينقص بالصدقة.. أن الصدقة هي التي تبقى له من ماله..وأن الصدقة تزداد وتنمو عند الله تعالى.. وأن الصدقة تطفئ غضب الرب.. وأنها تزيد المال وتطهره.. وأن المال الذي بيده إنما هو من عند الله.. وأمور أخرى كثيرة تجعل (الصدقة برهان)..

- ولماذا ارتبطت الزكاة برمضان أو الصيام؟!

- لا ارتباط.. اللهم إلا ليتذكر الإنسان (الحول).. أي مرور سنة هجرية على أمواله فيخرج الزكاة كل رمضان.. ثم إن الطاعات في رمضان أجرها أعظم.. وكذلك إخراج الصدقات والزكاة في رمضان يعين الفقراء على قضاء حوائجهم في الصيام والعيد.. «**وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان**» (متفق عليه)... لأجل هذا ترى كثيراً من الناس يخرج زكاة ماله في رمضان ويزيد من

الصدقات ويزيد من الإحسان إلى المحتاجين يرجو الأجر من الله..

ـ وهل يخرج الإنسان زكاته سراً أم علنا؟!

ـ أما الزكاة فقالوا إعلانها أفضل لأنها شعيرة ولا مجال للرياء فيها فهي ركن من أركان الإسلام ويجب على كل من توافرت في ماله شروطها أن يخرجها.. أما الصدقات فالأولى إخفاؤها.. «**حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» (متفق عليه).. وفيها ستر للمحتاج.. وطهارة للمتصدق... وكلما حرص المتصدق على تحري أحوال الناس وتفقد احتياجاتهم وايصال الصدقة والزكاة لمستحقيها كان أثوب له وآجر.. ولكن إذا زكى ماله أو تصدق ثم اكتشف أن هذا الشخص ليس من أهلها فإن زكاته تجزئه ولا يخرج غيرها.

لولا الحج.. لكنت مسلماً

بعد عناء وضعنا رحالنا في «منى» يوم الثامن من ذي الحجة.. قبل صلاة الظهر بساعة.. أعد كل منا مكانه ورتب مسؤول الطعام عدته.. أدينا الصلاة.. بعد الغداء تحلقنا نحتسي الشاي المعد على الفحم..

ـ هل تعلمون أن مبيتنا الليلة «بمنى» سنة.. ومن تركه لا شيء عليه؟!

كان المتحدث «بوعبدالله».. تعرّف علينا منذ ثلاثة أشهر.. وأكثرَ من التردد علينا.. تخرَّج من جامعة أم القرى..

ـ هل تعني أننا يمكن أن نبيت الليلة في شقتنا على فرشنا، حيث المياه الباردة والساخنة.. وكل وسائل الراحة.. ولا شيء علينا؟!

ـ نعم.

ـ إذاً لنرجع إلى السكن..

قالها «بوخالد» بطريقة أضحكت الجميع..

ـ وغداً إن شاء الله تبدأ أعمال الحج.. من الوقوف بعرفة إلى المبيت بمزدلفة إلى رمي الجمرة، ثم الطواف والحلق والذبح.. ثم المبيت بمنى.. وهذا المبيت الثاني واجب من تركه فعليه دم..

سألته:

هل قرأت عن ذلك الذي ارتد عن الإسلام لِمَا رأى من مناسك الحج..

حيث إنه «زعم».. أن الحج فيه أعمال «غير منطقية».. وتعظيم للأحجار.. من طواف حول البيت إلى تقبيل الحجر أو استلامه أو الإشارة إليه.. ومن رمي الجمرات.. وتزاحُم شديد لأداء أعمال تشبه أعمال الكفار؟!

ـ لم أقرأ ما كتبه، ولكني لا أستغرب ذلك؟!

عجبت من رده..

ـ ماذا تعني؟!

ـ دعني أسألك.. هل هناك وسيلة أقوى للهداية من القرآن.. الذي هو كلام الله ـ عز وجل ـ تكلم به حقيقة.. وتكفل بحفظه إلى يوم القيامة.. الجواب.. «كلا».. ومع ذلك أخبر الله عن هذا القرآن ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ (فصلت).. وكذلك وصف القرآن فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء) فالقرآن والصلاة والصيام والزكاة والحج، وكل شعائر الله ـ عز وجل ـ لا تنفع إلا من حقق أصل الدين.. الإيمان التام بالله ورسوله وما جاء من عند الله، سواءً من قرآن أو سنة.. بعض الناس يقول: «لولا قطع اليد ورجم الزاني لأحببت الإسلام».. وبعضهم يقول: «لولا المواريث لكان الإسلام عادلا».. وبعضهم يقول: «لولا تعدد الزوجات لصرت مسلمة».. وبعضهم يقول: «لولا الحجاب لالتزمت بالدين».. وهكذا يتبع هؤلاء أهواءهم نتيجة ضعف إيمانهم وعدم تأصيل الركن الأول من الإيمان، الذي هو الإيمان بالله ورسوله.. الذي هو «شهادة أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله».. المؤمنون الأولون لم يسبقونا بكثرة صلاة وصيام.. وإنما بما وقر في قلوبهم من تصديقٍ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأسبقهم كان «الصديق» ـ رضي الله عنه ـ آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم عندما كفر به الناس، وصدّقه عندما كذبه الآخرون.. فعبارة «لولا الحج لكنت مسلماً».. يقولها من كان في قلبه مرض، أما المؤمن الذي تمكن الإيمان من قلبه فيقول: «بالحج أكملت إسلامي».

أول ذنب بعد الحج!

إلتقيته بعد الحج بأسبوع.. كان حريصا في مكة أن يؤدي ما يستطيع من صلوات في المسجد الحرام.. أدى عشر صلوات خلال الأيام الأربعة التي سبقت الحج.. كان لقاؤنا في ديوانه.. بعد المقدمات.. سألته:

ـ ما أول ذنب وقعت فيه بعد أن أدينا الفريضة؟

لم يستغرب سؤالي، لأن علاقتي به تشمل هذا النوع من الأسئلة..

ـ أولاً.. لا أظن أن المرء إذا أذنب ينبغي أن يخبر بذنبه أحداً.. بل يستغفر ويتوب.. وثانياً.. لا أظن أن أحداً لا يقع في الذنوب.. لحديث النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم: «**لو أنكم لا تذنبون..**» (صحيح مسلم) ثالثا.. من عقيدتنا أن أحدنا يجتهد ألا يقع في كبيرة.. أما الصغائر فإن مكفراتها كثيرة.. نسأل اللّه أن يغفرها جميعا.

ـ ها قد أفحمتني بهذه الإجابة.

ـ لم أجبك بعد.. الحمد للّه.. لم أقع في كبيرة.. أما الصغائر فما أكثرها.. هل تذكر عندما كنا نطوف للوداع.. رأيت أحدهم يحاول الخروج من الطواف معترضا جموع الطائفين.. أشرت إليه أن يسير مع الطائفين.. أبى.. فأخطأت في حقه بكلمة.. رد علي بعدها بقوله: «سامحك اللّه.. سامحك اللّه».. وأخذ يكررها.. وأشعر أنني أخطأت في حقه.. وأسأل اللّه أن يستجيب له ويسامحني.

ـ ولكن ألم يخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الجمعة إلى الجمعة وصيام عاشوراء ويوم عرفة.. وغيرها مكفرات للذنوب.

ـ ما اجتُنبت الكبائر.. فالكبيرة تحتاج إلى توبة.. وإذا كان في الكبيرة حق آدمي، وجب رد الحق له.. أو الإستسماح منه.. وإذا لم يتب المرء من الكبيرة، فإن أمره يوم القيامة إلى الله.. إن كان له من الحسنات ما يكفرها.. كان على خير.. وإلا فإما أن يغفر الله له، أو أن يعذبه بذنبه إن لم يتب عليه.

ـ وماذا عن الذي يبرر ذنوبه.. مكتوبة عليه.. أبواه تسببا في ذلك.. بيئته أفسدته.. لم يكن يعلم.. وقائمة طويلة من الأعذار؟!

ـ إن الله أقام الحجة على بني آدم كلهم.. وذلك في مراحل متعددة.. أول ما خلق آدم.. استخرج جميع ذريته.. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (الأعراف).. ثم أرسل إليهم الرسل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ (النساء) وجعل فيهم فطرة ترشدهم إلى توحيد الله «**كل مولود يولد على الفطرة**» (صحيح البخاري).. وجعل في الحياة آيات تدل عليه سبحانه.. من خلق السماء والأرض واختلاف الليل والنهار.. والجبال.. والبحار.. والبراكين.. والزلازل.. والأمطار.. وفي مخلوقات الله من الآيات ما يكفي.. وحذّر الله عباده بأن الشيطان لن يتركهم.. بل سيأتيهم في مراحل أعمارهم كلها بكل ما يستطيع.. ومع

ذلك لم يجعل له سلطاناً على عباده الذين يريدون الهداية وإرضاء اللّه عز وجل.. فالعذر بالقدر على الذنب من أقبح الأعذار ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأعراف).. أما بعد أن يقع المرء في الذنب.. ويتوب منه توبة نصوحا ـ فإن حال العبد بعد التوبة خير من حاله قبل الذنب.

الأضحية.. عبادة وليست عادة!

إقترب من مجلسي الذي بقيت فيه بعد صلاة المغرب، جلس قبالتي يحاورني بعد أن غادر معظم المصلين ولم يبق سوى بوعبدالله في أقصى الجانب الأيمن يتهيأ ليقرأ من مصحفه كعادته كل يوم بين المغرب والعشاء.. وبومساعد الذي اتخذ مجلسه مسندا ظهره إلى الحائط المواجه للقبلة، ورجل ثالث دخل المسجد يؤدي الصلاة منفردا.. سألني:

- اعتاد والدي أن يذبح كل سنة أربع أضاحي، عن والديه، وعن نفسه، وعن أسرته، وبعد أن توفي منذ ثلاث سنوات وأنا أضحي بخمس عن جدي وجدتي وعن والدي ونفسي وأسرتي، وهذا العام أصابتني ضائقة فهل يجوز أن أقترض لأذبح الخمس؟

- ولماذا تذبح خمس أضاحي؟ هل أوصى والدك بشيء؟!

- كلا.. ولكن اعتدنا على ذلك، وأشعر بحرج بيني وبين نفسي، ووالدتي وإخواني إن لم أفعل.

- إن الله لم يأمرنا بهذا.. الأضحية عبادة شرعها الله - عز وجل - والعبادة لله لا ينبغي أن نخرجها عن إطارها الشرعي إلى عادات وتقاليد فيضيع الأجر ولا نتحصل التقوى.

- بماذا تنصحني؟

- أولا، إعلم أن الأضحية عبادة تأتي نتيجة التقوى.. وتورث التقوى

كما قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (الحج) ومن أعظم أسباب التقوى أن تذبح الأضحية وفق ما شرع الله وبيّنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ـ أن أفضل عمل يقوم به المرء يوم عيد الأضحى أن يذبح الأضحية تقرباً إلى الله عز وجل، فيحسن اختيارها ويحسن ذبحها.. ويعلم أنه بعمله هذا إنما يريد وجه الله.. والأضحية الواحدة تكفي البيت كله، فإنها تكفيك أنت وأسرتك ووالدتك التي تعيش معك، وإن كانت هي تريد أن تضحي من مالها فلا بأس.

قاطعني:

ـ كلا.. بل أنا أضحي عنها من مالي وإلا لحقني العيب.

ـ أعني أن الأضحية الواحدة تكفي.. ولا ترهق نفسك بدين لأجل أن تذبح أكثر من أضحية.

ـ أضحيتان.. سهل أمرهما.

ـ واعلم أن الله يتقبل هذا العمل ويحتسب لك بنيتك الصادقة أنك تريد التقرب إلى الله واتباع هدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعظِّم شعائر الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحج).. والأضحية تقع عند الله بمكان قبل أن يصل دمها إلى الأرض، وتكون بعد صلاة العيد.. والأكمل أن يذبحها المرء بنفسه وإن

لم يكن يحسن الذبح، شهد ذبحها ويسمي عليها ويقول «**اللهم هذا منك وإليك.. عني وعن آل بيتي**» أو «**عن والدي**» (متفق عليه) وهكذا ومن لم يتيسر حاله، فقد ضحى عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما ضحى بكبشين أملحين أقرنين وقال: «**هذا عن من لم يضح من أمتي**» (صحيح الحاكم في المستدرك) صلى الله عليه وسلم.

ـ وهل يجب على من ضحى أن يستمر كل عام وإلا أثم؟

ـ كلا.. المسلم يضحي إن يسَّر الله عليه وإن لم يتمكن من شراء الأضحية فلا حرج عليه، وإهراق الدم يوم العيد أحب إلى الله وأثوب للمسلم من التصدق بثمنها، فالأضحية عبادة لا ينبغي أن نخرجها من طقوسها وشروطها.. وآدابها، بل نتقرب إلى الله تعالى حتى أنه يستحب أن تأكل شيئا من لحمها، وهذا معنى قولنا إن العبادات توقيفية، أي لا نقول إن الصدقة أنفع للفقير من اللحم.. والذبح فيه هدر للمال واللحوم فلا داعي لها، والذبيحة تسبب من الأذى فالتصدق خير، هذه عبادة ينال أجرها من آمن بحقها وعملها.

حسن الخاتمة

تواجدنا في المقبرة لحضور جنازة أحد إخواننا.. انصرف أهل المتوفى لنقل العزاء إلى المكان المخصص..بقيت عند القبر.. استسلمت للأفكار والمشاعر. ناجيت نفسي.. كم أنت مفرط يا صاح.. أراك لا تتوب من الذنوب.. ألا تخاف وحشة القبر وظلمته؟! ألا تخشى ضمة القبر وضغطته؟ كيف أنت وقد سُجّيت في اللحد؟! وأهيل عليك التراب.. صَمْت.. وضِيق.. وحرّ.. وظلمةٌ.. ما اللذة التي تتمتع بها مقابل كل هذا؟

- ولكنني أحاول.. بصدق أحاول.. أستغفر وأتوب.. نعم أقع في الذنوب وربما كل يوم.. ولكني أجتهد في التوبة.. أقرّ بضعفي.. وما الذي أستطيع عمله جراء أهوال القبر؟! كلنا.. ولابد.. سيكون هذا منزله يوماً ما.. لاخيار لنا..

زجرني.. منكرا..

- أتراك تمزح أم أنت جاد؟ تقول إنك تؤمن بأهوال القبر.. وبعد ذلك تتراخى في الإقلاع عن المعاصي.. أتظن أن الإعتذار بالضعف ينفعك؟! إنك تخدع نفسك... والويل لك من الإغترار ببعض الطاعات.. من خاف عمل..

- والله.. هذه طاقتي وهذا جهدي.. وماذا أفعل تجاه الديون التي ركبتني ولا أعرف سبيلا لسدادها؟! فإذا جاء الأجل قبل السداد.. وَيْلي من عذاب القبر جراء هذه الديون..

ـ هل تريد صِدْقاً أن تسددها؟

ـ نعم.

ـ إذن أصدق الله يصدقك.. عاهِد الله أنك تريد السداد في أول فرصة تسنح لك.. وادعُ الله كما علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وعلى قدر صدقك تكون الإجابة...

أفكار ومشاعر كثيرة تقاذفتني وأنا جالس بين القبور.. نبهني أحد العاملين في المقبرة إلى صاحبي الذي لا أدري كم مضى عليه وهو ينتظر في المركبة..

ـ كلما أتيت القبور.. أشعر بالخوف والحزن والعجز وأكره الدنيا.. بل وأخاصم نفسي.

ـ إنك تبالغ يا هذا.. اسأل الله حسن الخاتمة.. ونحن ولله الحمد بخير.. صلاة الجماعة لا تفوتنا.. ولا شأن لنا بالمعاصي.. انظر إلى غيرنا.

ـ إن المرء لا ينظر إلى غيره في قضايا الإيمان.. بل إلى أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويرى موقعه منها.. وحسن الخاتمة.. لا يتحصلها الإنسان بالتمني بل بالجد والعمل ثم الدعاء.

ـ أراك أوصدت كل الأبواب وقطعت كل السبل!! هوّن عليك..

ـ إن حسن الخاتمة يتطلب الصدق والإخلاص مع الله في الحياة الدنيا.. وفي أداء الطاعات واجتناب المنكرات.. لأن المرائي عرضة للفضيحة قبل الممات كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن المرء**

ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس. فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (متفق عليه).

ومع الإخلاص.. دوام التوبة والاستغفار واجتناب الذنوب التي تؤدي إلى سوء الخاتمة.. مثل (عقوق الوالدين).. و(ظلم الناس).. ومن رزقه الله حسن الخاتمة فقد منَّ عليه بنعمة عظيمة.. وأما من ختم له بسوء العاقبة.. فما بعد ذلك أشد وأنكى!!!

أسباب حسن الخاتمة

ـ «**إنما الأعمال بالخواتيم**» (صحيح البخاري) هذا الحديث يؤرقني.. أخشى ألا أنال حسن الخاتمة، فتحبط أعمالي ولا أجد أجرها..

ـ وهل تعتقد أن حسن الخاتمة قضية عشوائية.. أو (ضربة حظ) كما يقولون؟

ـ هذا الذي أفهمه من الحديث الآخر الذي يقول فيه الرسول صلى اللّه عليه وسلم: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعلم أهل النار فيدخلها.. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» (متفق عليه)..

أجبته مؤنّباً..

ـ وهل قال أحد من العلماء في شرح هذا الحديث أن حسن الخاتمة يختارها اللّه للعبد دون تدخل من العبد؟!..

ـ بصراحة لم أقرأ شرح الحديث، ولكن ظننت أن ألفاظه واضحة.. **(يسبق عليه الكتاب فيدخل الجنة.. يسبق عليه الكتاب فيدخل النار)!!**

ـ هكذا.. دون عمل من العبد؟ اسمع يا (بو سعد).. إن اللّه لا يظلم أحداً.. وحديث (حسن الخاتمة) من القضايا المصيرية بالنسبة إلى العبد فقد بيّنها اللّه ووضحها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعلمنا كيف

يمكننا أن ننالها.. إن اللّه لا يضلّ من أراد الاهتداء وبذل أسبابه ولا يخذل من لجأ إليه واعتصم به بطريقة صحيحة.. بل «**إن الله يستحي أن يرد العبد يرفع يديه في الدعاء صفر اليدين**» (صحيح أبي داود).. يجب أن تكون لديك ثوابت في هذه المواضيع..

ـ إذن كيف نفهم هذا الحديث الأخير؟

ـ اقرأ شرح الحديث وأقوال العلماء تصل إلى الحق.. وأنت ما شاء اللّه.. لا تفوّت تحليلاً سياسياً إلا وقرأته ولا تعليقا إلا واستمعت إليه ولا ندوة إلا وحضرتها.. اقرأ شرح هذا الحديث، فإنه أنفع لك من السياسة والإقتصاد والعلاقات الدولية.. ضحك صاحبي.. مازحاً..

ـ هات ما عندك.. أعطني شرح الحديث.. ألا تريد الأجر؟!

ـ إبتداء.. نؤمن أن اللّه يعلم مصيرنا قبل أن يكون أي شيء.. وكتب ذلك في كتاب قبل خلق السماوات والأرض بخمسمائة عام.. ولا شيء يخالف علم اللّه.. ولكن هذا المكتوب ـ الذي هو علم اللّه ـ ليس هو الذي سنحاسب عليه، بل سنحاسب على الكتاب الذي يكتبه الملكان.. وهما لا يكتبان شيئا إلا بعد أن تعمل.. فالرجل الأول عاش حياته في طاعة اللّه فيما يبدو للناس، ثم انقلب على عقبيه وترك طاعة اللّه وختم حياته بالإعراض عن اللّه فدخل النار.. والآخر كان على معصية ثم تاب للّه وعمل بالطاعة وختم حياته بالتوبة فدخل الجنة.. وكل هذا مطابق لما علمه اللّه سابقا.. ما الإشكال في ذلك؟

ـ تبيّنَ الأمر.. ولكن كيف يكون الإنسان صالحاً ثم ينقلب على وجهه؟

ـ إن أسباب حسن الخاتمة واضحة بيّنة.. أولها: التوحيد وعدم الوقوع في الشرك.. ثم الإتباع والبعد عن الإبتداع.. وثالثها: دعاء الله عز وجل بصدق وإخلاص بعيداً عن الرياء والنفاق.. وأخيراً ترك الذنوب التي تمنع حسن الخاتمة وعلى رأسها عقوق الوالدين.. فمن أتى بالأسباب صادقاً فإنه ينال حسن الخاتمة بإذن الله تعالى.. والمؤمن يجب أن يحسن الظن بالله ويعلم أن الله يعامل عباده بالرحمة والفضل لا بالعدل.. فيعطي على العمل الصالح أضعاف ما يستحق.. ويتجاوز عن السيئات.. ولكن يجب على العبد أن (يعمل) ظاهراً وباطناً.. ويدعو الله ولا يظنّ بالله إلا خيرا.

تجربة الموت في عقيدتنا

هل شاهدت ذلك البرنامج الوثائقي عن رحلة أناس عبر الموت؟!

ـ كلا.. وهل يمكن لإنسان أن يحكي عن تجربة الموت؟.. أعني لا يمكن أن يموت إنسان ثم يرجع فيخبرنا عن تجربته.

ـ لم يكن الأمر كذلك.. ولكن كان البرنامج لقاءات مع أناس توقفت قلوبهم لفترة.. أو دخلوا في غيبوبة لفترة.. بسيطة بالطبع رووا ما شاهدوه.

ـ معظمهم تكلم عن (ضياء ساطع).. و(نفق طويل مضيء لا يرى آخره).. وأصوات.. وألم أو راحة.. أو هدوء.

ـ هذه قصص أفلام أقرب منها لحقائق.. وعلى أية حال.. سواء كان هؤلاء الناس صادقين أو غير ذلك لا يهمنا أمرهم في شيء وذلك أن «تجربة الموت» من الغيب الذي نؤمن به.. والغيب عندنا لا مجال للإجتهاد فيه.. ولقد أخبرنا الله بما نحتاج أن نعلمه من تجربة الموت.. إما في القرآن وإما في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

كنت وصاحبي في طريقنا إلى المقبرة نشيّع والد صديق لنا، كان الهدف أن نصلي العصر في المسجد خارج المقبرة مباشرة، ولكن الوقت ضاق بنا فقررنا التوقف عند أول مسجد، تابعنا الحديث.

ـ وماذا جاء في القرآن عن (تجربة الموت)؟!

ـ الآيات التي تذكر الموت كثيرة.. وينبغي على المؤمن إذا قرأ كتاب الله أن يتدبر هذه الآيات، من الحقائق أن المحتضر يعلم يقيناً أنه سيموت..

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ (القيامة)... بمعنى أيقن أن الذي يمر فيه فراق للدنيا.. وهذا اليقين يتجلى بأنه يرى الملائكة تنتظر خروج روحه.. يراها على مد البصر، فإما أن يستبشر بهم أو يتكدر، وذلك أن الملائكة التي تنتظر الصالحين تختلف عن الملائكة التي تنتظر الفاسقين.. ومما ذكره الله عن تجربة الموت أن الناس حول المحتضر لا يرون حقيقة الأشياء ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (الواقعة).. ومن حقـــائق تجربة الموت أن المفرّط يسأل الله أن يؤجله.. لفترة بسيطة.. ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ (المنافقون).

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ المؤمنون، وهذه الطلبات كلها مرفوضة... ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (المنافقون).. وعملية نزع الروح من الجسد تتم بأمر الله ويتولاها ملك الموت.. إما سهلة سلسة وإما عنيفة مؤلمة.. ولا تبقى الروح عند ملك الموت، إذ تأخذها الملائكة التي كانت تنتظر.. وفي الإحتضار يشعر المحتضر بمن حوله.. ويبدأ يفقد اتصاله بالدنيا وقدرته على التحكم في أعضائه تدريجا، والموفَّق من يمكّنه الله من النطق بالشهادتين في هذه اللحظات.. القليلة.. الطويلة.. وبالطبع النطق بالشهادتين في الإحتضار نعمة عظيمة من الله لا ينالها إلا من كان يستحقها ممن كان مستعداً لهذه الحقيقة.

القبر.. أول المنازل

(بوغازي) من الأشخاص الذين لا ترغب بوجودهم في المجلس.. يفسد عليك المواضيع.. يشتت الأفكار.. ويثير الشبهات.. ويشعرك أنه لم يستفد شيئا من الدرس مهما كان مؤثرا.. عكسه (بوخالد).. يسأل صادقاً.. يتأثر.. يتابع.. ترى عليه أمارات الاستفادة.. بل ويطبق ما يسمع على الفور..

ـ إن القبر أول منازل الآخرة.. فيه أمور يشترك فيها الجميع.. وهي قليلة. وأمور يتفاوت فيها الناس تفاوتاً كبيراً.. الجميع سيتعرض لضغطة القبر.. والجميع سيحتاج إلى الدعاء بالتثبيت عند السؤال.. والجميع سيصيبه من سكرات الموت مالا يعلمه إلا الله.. ولكن الناس يتفاوتون في هذا المنزل..

ـ هل يتعذب المؤمن في قبره؟

ـ ربما.. فلقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.. أن اثنين من الصحابة كانا يعذبان.. **أحدهما لم يكن يستبرئ من البول والآخر كان يمشي بالنميمة** (صحيح البخاري).. وأخبر صلى الله عليه وسلم أن صحابياً آخر كان يعذب في شملة غلها من الغنائم.. (البخاري) وآخر كان يعذب في دَيْن لم يسدده.. (صحيح الترغيب والترهيب) فعذاب القبر.. يصيب المسلم والكافر.. ويزيد ويقل.. ويتنوع حسب الذنب.. كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء.. وفي حادثة أخرى في

المنام.. عندما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أناسا يعذّبون.. مثل الذي ينام عن الصلاة.. والذي يأكل الربا.. والذي يقع في الزنا.. والذي ينشر الكذب.. كل هؤلاء يعذبون في قبورهم..

ـ ولكن كيف يعذب الإنسان من ذنب إذا تاب منه؟!

ـ إذا تاب الإنسان من ذنب فإنه لا يعذب عليه لا في الحياة الدنيا.. ولا في القبر ولا في الآخرة.. «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» (صحيح الجامع الصغير).. هذه الذنوب التي يعذب عليها هؤلاء ذنوب لم يتوبوا منها.. ولم يشأ الله أن يغفرها فعذبهم عليها في قبورهم..

ويعذب على الذنب في الآخرة أيضا؟..

ـ كلا.. الذنب الذي لا يتوب العبد منه ينال العذاب عليه إما في الدنيا أوالقبر أو الآخرة.. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ (الكهف)..

تدخل (بوغازي)..

ـ ها نحن شاهدنا رفات المئات الذين دفنوا في مقابر جماعية في العراق.. هل نلاحظ عليهم آثار العذاب؟!

ـ بالطبع لا.. حياة البرزخ.. التي هي الحياة منذ موت الإنسان إلى يوم القيامة.. سواء قُبِرَ الإنسان أم لم يقبر.. من الغيب.. الذي نؤمن به لأنه جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن.. فلو نبش أحدنا قبراً.. فإنه لن يرى شيئاً معيناً.. ولكن المقبور في حياة أخرى.. نعيم أو عذاب أو انتظار.. حياة برزخية.. وهذا (المقبور).. ربما يخفف عنه العذاب

لحين.. بسبب دعاء وصل له.. أو صدقة أهدي ثوابها له.. أو عمل صالح قدم لأجله.. ثم إذا نال أجر هذا العمل الصالح ربما يرجع عليه العذاب إلى أن يشاء الله أو يؤجل عذابه إلى يوم القيامة.. فنحن نؤمن بكل ذلك وإن لم نر شيئاً مادياً يدعم إيماننا هذا..

- وهل هناك عذاب بالحيّات.. وبالنار.. وبالضرب في القبر؟!

- نعم.. دون أدنى شك.. وإن لم تر في القبر حَيّة واحدة.. أو شعلة من النار.. أو حتى إن لم يوجد قبرٌ أصلاً ومات الإنسان في البحر أو تشتت جسده ذرات في الهواء.. هناك حياة برزخية للجميع إلى يوم يبعثون.. وهي فترة يسيرة على من يسرها الله عليه.. وصعبة عسيرة على من استحق ذلك.. القبر.. منزل لابد أن يسكنه كل واحد.. وسوف يسكنه أكثر مما يسكن منزله في الدنيا.. فلئن كان أحدنا يبذل الجهد والمال والوقت ليبني المنزل الواسع.. المريح.. المزود بكل وسائل الراحة للدنيا.. التي لا تطول به أكثر من مئة سنة فالأولى أن يفكر بإعداد المنزل المريح الذي سيعيش فيه مئات السنين.. قبل أن يبعث يوم القيامة.

أول ليلة.. تحت التراب!

ـ يخيفني مجرد التفكير في حالي وقد لُفِفتُ في كفني.. وسُدّ عليّ في لحدي.. وأهيل التراب في قبري.. يرفض عقلي الاستمرار في هذه الفكرة.. فأجرّه جرّاً.. فيرجع إلى الفكرة من أولها دون أن يسترسل فيها.. أظن أنه (الخوف) الذي لا مثيل له.. أعلم أنه خوف.. وأعرف معنى الخوف الذي سينتابني في ذلك المكان والزمان لن يكون شيئاً من نوع الخوف في الدنيا.. حتى أكاد من خوفي ألا أشعر بضيق المكان.. ولا بظلمته.. وأظنني.. سأشعر بالخوف في كل خلية من جسدي.. وكل شعرة.. وكل نبضة.. سيتجسد الخوف فيّ.. يبلغ كل ما ينتمي إلى جسدي وفكري وشعوري.. لن يخطر في بالي شيء ولا أحد من أهل الدنيا.. لا شيء على الإطلاق.. ولا أحد على الإطلاق.. لن أتذكر ما آلمني ولا من أحزننى ولا ما أقلقني ولا من أحبنى.. إني على يقين أنه لن يكون إلا (خوف) من نوع لا أعرفه.. ولن ينتهي إلا بشيء أعظم منه.. (سؤال الملكين)..

كان صاحبي يحدثني ونحن في طريقنا لقضاء بعض المشاغل بعد صلاة عصر الأربعاء (اليوم الذي نلتقي فيه لتسميع ما اتفقنا على حفظه من كتاب الله) سرى الخوف الذي يتحدث عنه صاحبي إليّ... لقد كان صادقاً في مشاعره.. إسترسل في حديثه..

ـ نعم.. لا أستطيع أن أشعر بأبعد من ذلك..أعلم الأحاديث والآيات التي تذكر سكرات الموت.. وانتظار الملائكة خروج الروح.. وعروجها إلى السماء.. ثم حال المتوفى، وقد حُمل إلى القبر.. ولكن كل هذه

عقيدة أؤمن بها.. كلها تنتهي عندما تأتيني فكرة أول ليلة سأقضيها تحت التراب..

ـ ولماذا تفكر في (أول ليلة).. لماذا لا تفكر في أول لحظات بعد الإنتهاء من الدفن ومغادرة الأحبة؟!

ـ لا أدري.. ربما (أول ليلة) لأن أحدنا يفكر دائماً بالراحة أثناء الليل.. فيتذكر أول ليلة قضاها في منزله الجديد.. وأول ليلة قضاها بعد زواجه، وأول ليلة نامها بعد نيله الشهادة.. هكذا.. ربما.. لا أدري ولكن الأمر يخيفني.. ولا مفرّ منه.. لأول مرة أشعر بالخوف.. وأفكر في الخوف.. وأعرف كيف يمكن أن يكون الخوف.. ومع هذا كله سيكون الأمر (لا شيء) مقارنة بحقيقة ما سألقاه تلك الليلة تحت التراب..

ـ أوافقك الرأي.. أنه لا شيء في الدنيا يشبه الآخرة إلا المسميات.. ولكن الأمر ليس واحداً.. للجميع.. سيكون أهون على أناس من آخرين.. وسيأنس المؤمنون برؤية ملائكة الرحمة لحظة خروج الروح.. وستخرج أرواحهم سهلة.. وستصعد إلى السموات..

قاطعني..

ـ كل ذلك معلوم.. أعرفه كعقيدة.. ولكن أعلم أن ذلك سيتلاشى أمام الخوف الذي سأشعر به وقد لحقني الخوف من كل جانب.. وخالط كل جزئية من جسدي.. وعروقي.. ومشاعري.. كل شيء تحول إلى خوف.. لا حدود له.. صدقني لن ينتهي ذلك الخوف إلا بسؤال الملكين.. لأنه أكثر إخافة مما سبقه..

شعرت أنني لن أتمكن من مجاراة صاحبي مهما فعلت.. أردت أن أتحدث لمجرد المشاركة.

ـ ولكن المؤمن مع علمه ويقينه بكل هذا (يستثمر) هذا الخوف..

ـ هذا كلام سهل المقولة.. صعب التنفيذ.. ولكن صحيح ينبغي على أحدنا أن يستثمر هذا الشعور.. كلّما أهمه شيء.. أو فاته شيء.. أو بغى عليه أحد.. أو ضاقت عليه الدنيا.. والأفضل أن يتذكره إذا غلبته الشهوات.. وانفتحت أمامه الدنيا.. وانغمس في الهوى.. هذا هو المطلوب.. ولكن من منا يقول للدنيا (وليّ عني فإن أمامي ليلة تحت التراب ستنسيني كل ما فيك من لذة أو تعب).

أعمال تنفع بعد الموت

كنت وصاحبي في المقبرة... ذهبنا ولم نكن نعرف أحداً من المتوفين ولكن للقيام بواجب تجاه أحد المسلمين وللإتعاظ بزيارة القبور..

ـ كثيرٌ الذين يذهبون إلى المقابر... قليلٌ من يتعظ بهذه الزيارة.. حتى الذين يتعظون يتفاوتون فيما ينتفعون به... بعضهم ينتهي أثر زيارته مع أسوار المقبرة.. وبعضهم إلى المساء وبعضهم إلى اليوم التالي... ثم ينتهي كل شيء.

ـ هكذا البشر.. كما جاء في حديث الصحابة عندما اشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالهم بأنهم عندما يكونون معه يكون إيمانهم لا حدود له ثم يذهبون يلاعبون الأطفال والنساء ويكونون في حالة إيمانية أخرى.. فلم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بل قال.. «**لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم**» (صحيح مسلم).

كنت وصاحبي بانتظار إشارة المرور التي ازدحمت بالمركبات نتيجة تعطل شاحنة قرب التقاطع.

ـ أنا أعلم ذلك.. ولكن أقول إن العبرة الحقيقية هي أن يخرج المرء من المقبرة عازماً الاستعداد لذلك اليوم الذي سيُحمل فيه... ويعمل لأجل ذلك اليوم... وينتقي من الأعمال ما ينفعه بعد موته....

ـ وما الذي ينفعه بعد موته؟!

ـ هناك أعمال يبقى أجرها بعد الموت وأعمال يبقى إثمها بعد الموت هذا مما يعمله الإنسان وهناك أعمال يعملها الآخرون وينتفع بها المتوفى.

ـ تعني الصدقة الجارية.. والعلم الذي ينتفع به.. والولد الصالح؟

ـ هذه بعضها.. ولاشك أنها تنفع المتوفى إذا أراد بها وجه الله.. وبالإضافة إليها.. حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .. «**من دعا إلى هدى فله من الأجر مثل أجر من عمل به إلى يوم القيامة لاينقص من أجورهم شيئا**» (صحيح مسلم).

مثلاً.... إذا علّمت أحدهم قراءة القرآن.. أو الصلاة الصحيحة.. أو إذا دعوت الناس إلى سنة فأحييتها وعمل بها الناس...

ومثلاً... إذا (فرجت عن مسلم كربة من كرب الدنيا) قضيت عنه ديْناً كاد أن يدخله السجن ويفقده وظيفته ويشتت شمل أسرته... إذا تكفلت بعلاج رب أسرة عاجزة ففرجت همهم جميعاً بعودة معيلهم سالماً يسعى على رزقهم.. إذا كفلت يتيماً.. أو قمت على أرملة... تريد بكل ذلك وجه الله.. فإن هذه الأعمال تنفع بعد الموت... بعضها ينفع في سكرات الموت وبعضها في القبر وبعضها عند البعث وبعضها في المحشر وبعضها على الصراط وبعضها يرفع درجاتك في الجنة بعد أن تدخلها...

ـ ولكن المرء ينسى هذه القضايا..

ـ وهذا الفرق بين العباد.. المؤمن ينبغي إذا تذكر الموت أن يعد له...

وإذا كانت له القدرة على عدة أعمال.. فإنه يختار الأبقى أثراً والأعظم أجراً.. أحدنا ينظر إلى حياته على أنها «استثمار ويبحث عن العائد الأعلى لعمره وماله وصحته وعلمه.. وكلُّ نعم الله عليه..».

ـ هذا فيما يعمله العبد.. وماذا عن الذي يُعمل له؟!

ـ المؤمن يوصي أحبابه من بعده ألا يفعلوا ما يضره سواء عند احتضاره أو غسله أو دفنه أو بعد ذلك في قبره.. كالنياحة والبدع... ويوصي بأن يكثروا من الدعاء له والتصدق عنه وقضاء دينه وعمل الخير...

ـ هل يصل ثواب الأعمال الصالحة إلى الميت؟

ـ اختلف أهل العلم في ذلك... ولكنهم أجمعوا على وصول أجر الصدقة والدعاء والحج.. والذين عارضوا في الأعمال الأخرى لم ينكروا احتمال وصول الثواب وفضل الله واسع.. إذا أخلص المؤمن النية وأراد أن ينفع أخاه بعبادة ثابتة في شرع الله فإن ثوابها يصل بإذن الله تعالى.

أين تصير الأرواح؟

قضيت معظم الإجازة الربيعية في المخيم بعيداً عن إلتزامات المدينة وعجلتها التي لا تتوقف... قطعت جميع وسائل الاتصال.. وجدت سعة من الوقت لعمل كل شيء.. قراءة.. رياضة.. استرخاء.. بل والشواء وتجهيز الطعام.

ـ في قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾. (الزمر).. هل معناها أن الأرواح تنفصل عن الأجساد حال النوم؟

كنت أتمشى وصاحبي بعد العصر.. أمسك كل منا بعصاة ننكش بها الأرض وننبش بعض الجحور..

ـ عندما سأل الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، أمره الله أن يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء) .. فنفخُ الروح واتصالها بالجسد وانفصالها وفي النهاية، خروجها ثم رجوعها إلى الجسد يوم القيامة، كل ذلك من أمور الغيب الذي أمرنا الله أن نؤمن به وفق ما جاءت به الأخبار الصحيحة دون زيادة أو نقصان... وفي الآية التي ذكرت يبين الله تعالى أن الأرواح تكون في حالة خاصة مع الجسد حال النوم، وأنها تكون في «مكان ما».. فمن قضى الله عليه بالموت لا ترجع روحه إلى جسده، ومن لم يحن وقت موته.. ترجع روحه إلى الجسد حتى يأتي أجلها.

ـ وهل تلتقي أرواح الأحياء حال النوم بأرواح من ماتوا من قبل؟

ـ إن المتتبع للآيات والأحاديث التي تذكر حال الأرواح يصل إلى نتيجة هي أن مصائر الأرواح متنوعة ومختلفة.. ربما ترى الروح حال النوم بعض الأرواح الأخرى.. وربما بعض الجن.. أما أرواح الأموات فلها مقامات وحالات جاء ذكر بعضها في بعض الأحاديث الصحيحة.

ـ هل لنا أن نتتبع بعض هذه الآيات والأحاديث؟

ـ دعنا نبدأ بالأحاديث التي تذكر خروج الروح ساعة الموت.. وبالطبع يسبق الموتَ ساعةُ الإحتضار.. وهذه الحالة جاء وصفها أن المرء يكون في (إدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة) وفي هذه الحالة يرى المحتضر الملائكة.. يجلسون منه مد البصر.. إن كان من أهل الخير رأى ما يسره وإن كان غير ذلك رأى ما يسوؤه من هيئة الملائكة، فإذا حان موعد خروج الروح بالدقة التي حددها الله بدأت الملائكة بإخراج الروح بأمر ملك الموت.. وتخرج روح المؤمن سلسة هينة، وتنتزع روح الكافر انتزاعاً.. وهذه أول مفارقة حقيقية للروح عن الجسد.. فيدخل الميت حياة البرزخ.. ثم تبدأ رحلة الروح إلى السماء بصحبة الملائكة وبرائحة المسك وكأنها الحرير حتى تصل إلى السماء السابعة، ثم يأمرها الله أن تعود إلى الجسد، ولكن ليس كهيئة الحياة التي نعرفها.. وربما رأت في هذه الرحلة شيئاً من نعيم الجنة، وربما تبلغ دون السماء السابعة وكل ذلك على حسب حال المؤمن في الدنيا، فإن أرواح الأولياء والصالحين والأتقياء المنيبين ليست كأرواح المفرطين والمقصرين، وإن كانوا من أهل

الإسلام.. (لا يستوون).. ولكن الأحاديث تذكر لنا حال الكمال والقاعدة تقول: (كمال الأجر من كمال العمل).. أما الكفرة فإن أرواحهم ترفع بصحبة ملائكة مفزعة بريح نتنة ولا تفتح لهم أبواب السماء الدنيا، بل يأمر اللّٰه بها أن ترمى إلى أسفل سافلين، وهذه العملية تأخذ فترة زمنية لا تخضع لمقاييسنا الدنيوية.. ولا يعلمها إلا اللّٰه وربما تختلف من شخص لآخر.. ثم بعد أن يجهز الجسد للدفن ترجع الروح إلى الجسد بهيئة لا نعرفها، ولكنها مرحلة من مراحل حياة البرزخ.. حتى إذا حملت الجنازة قالت: (**قدموني.. قدموني**) (البخاري) إذا كانت من أهل الخير.. وتقول: (أخروني.. أخروني) إن كانت غير ذلك.. فإذا وضعت في القبر.. تبدأ مراحل الحساب بأن يسأله الملكان: (من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في هذا الرجل؟).. وتكون الروح متصلة بالجسد بهيئة لا نعرفها.. وتأتي الإجابات ثم يكون أول جزاء.. إما بداية نعيم أو بداية عذاب.. وذلك لفترة لا نعلمها وتلك من الحياة الآخرة.

الساعة... قريبة؟

العمل في مهنة التدريس يُعَلِمك دائماً بتقدم العمر.. لأنك ترى الطلبة الذين درستهم قبل سنين قد أصبحوا آباء وأمهات.. وتقلدوا المناصب وتحملوا المسؤوليات.. ولكن الجميل أن يبقوا يكنّون لك الود والإحترام رغم تقادم العهد.

(محمد) أحد طلبتي.. نال الدكتوراه وأصبح زميلاً في المهنة، نلتقي يوميا لتوافق ساعات محاضراتي ومحاضراته.

- زوجتي تعتقد أن القيامة ستقوم في أعمارنا وأن أبناءنا لن يبلغوا سن الزواج... وأظنها جادة في تفكيرها لأنها كلما قرأت القرآن ومرت بآية فيها ذكر القيامة وقربها سجلتها على ورقة وأرتني إياها...

- أَخبِرها.. أنني أحلف أن الساعة لن تقوم في أعمارنا.

- وكيف تجزم بذلك...؟ أليس من علامات الساعة «كثرة الزلازل»؟

- بل إن العلامات الصغرى كثيرة... فقد ضُيعت الأمانة وأوسد الأمر إلى غير أهله... وتطاول الحفاة رعاء الشاة بالبنيان... وولدت الأَمَةُ ربتها.. وكثر القتل.. وغير ذلك من العلامات الصغرى.. وكان بعضها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم - وهذه ليست أدلة على أن الساعة ستقوم غداً أو بعد عام.

- إذن... كيف أقنعها بأن القيامة لن تقوم في حياتنا؟!

ـ إبتداء... تؤمن بأن من صفات القيامة أنها قريبة... حتى قال بعض العلماء مازال الله يقرب الساعة حتى جعلها غدا.. كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحشر) .. إنها قريبة ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأحزاب)... وقوله ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ ﴾ (المعارج)... وحيث أنها آتية فإنها قريبة.. لأن كل ما هو آت فهو قريب.

ـ وما الأدلة أنها لن تقع خلال سنة أو في حياتنا مثلا؟!

ـ أخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن علامات الساعة الكبرى.. والمرحلة الإنتقالية من العلامات الصغرى إلى العلامات الكبرى هي حرب عظيمة تقع بين المسلمين والروم ثم يخرج المهدي المنتظر ثم ينزل عيسى بن مريم ثم يخرج يأجوج وماجوج... وفي نهاية الأمر.. يقبض الله أرواح المؤمنين فلا يكون على الأرض إلا كافر.. ولا يقول أحد على الأرض «**لا إله إلا الله**» (أصله في مسلم).. ثم يأتي جيل آخر من الكفارتقوم عليهم الساعة... كل هذه الأحداث تجعلنا نجزم بأن الساعة لن تقوم غداً أو بعد عام أو في حياتنا... ولكن هل العبرة بمتى تقوم الساعة؟!

ـ ماذا تعني؟!

ـ أعني أن موعد قيام الساعة لايهمنا بشيء ولا ينفعنا بشيء.. لأن لكل واحد منا ساعته وقيامته.. فإذا مات أحدنا ـ ولا يدري أحد متى وأين سيموت ـ تقوم قيامته.. ويبدأ حسابه في قبره ثم يمكث في نعيم

القبر أو عذابه إلى أن تقوم الساعة الكبرى... فالعبرة أن يكون أحدنا مستعداً لقيامته الشخصية لا للقيامة الكبرى.. ولذلك عندما سئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال.. «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» (صحيح البخاري) وعندما سأله أحدهم «**متى الساعة**» (صحيح البخاري)؟!.. قال: ماذا أعددت لها؟ وهذا الذي يجب أن نحاسب أنفسنا عليه ماذا أعددنا للساعة من أعمال صالحة.

قصة الآخرة

أحرص في رحلاتي إلى الولايات المتحدة أن أزور بعض الإخوة الذين كنا معهم أيام الدراسة.. (أبو عبد الرحمن) أصرّ هذه المرة أن أمكث عنده في البيت الجديد، ولم يترك لي خياراً آخر.. قبل عشاء الساعة السادسة وبعد أن أدينا صلاة العصر جماعة.. أخذنا مجلساً في الساحة الخلفية المطلة على جدول صغير اختبأ خلف الأشجار الخضراء العالية..

ـ لدي نظرية أود أن أطرحها وآخذ رأيك فيها؟!

ـ تفضل..

كان المتحدث (الحاج إبراهيم).. يعمل مهندس كمبيوتر لإحدى الشركات، مقيم في الولايات المتحدة منذ عشر سنوات.

ـ الأحاديث عن القيامة واليوم الآخر وكيف ستقوم الساعة يجب أن ننظر إليها بمنظور عصري وفق الإكتشافات الحديثة والنظريات العلمية المعروفة الآن.. نعلم أن (أمر اللّه) عندما يأتي فإنه يغير طبيعة الأشياء.. فعندما أمر اللّه النار.. أصبحت برداً وسلاماً على إبراهيم، وعندما أمر البحر انفلق وتوقف عن الانسياب لأجل موسى (عليه السلام).. وهكذا دائماً أمر اللّه يغير طبيعة الأشياء.. ودائماً يأتي العذاب بعد إنذار.. فأمر اللّه بإغراق قوم نوح أتى بعد فترة إنذار بنى خلالها نوح السفينة وكان قومه يمرون عليه يستهزؤون.. وكذلك قوم لوط وعاد وثمود.. جميعهم أنذروا وأتى العذاب بعد الإنذار.. والقيامة (أمر عظيم).. ولا

يوجد (نذير) لأن الرسول محمد صلى اللّه عليه وسلم لا رسول بعده.. فلا بد من إنذار للبشر يفهمه الجميع.. وبعد مدة يأتي أمر اللّه.. وهذا الإنذار..

وأخذ صاحبنا يفسر أحداث الساعة ودمار الدنيا والنفخ في الصور بأن كوكباً سيأتي من السماء وأن البوق هو المجرات السماوية التي تأخذ شكلاً حلزونياً يشبه البوق، فالنفخ هنا ليس (نفخاً) وإنما اختراق جرم سماوي كبير للغلاف الجوي يصطدم بالأرض فيفنيها.. والنفخة الثانية جرم سماوي يمر بجانب الأرض فينقل فيها أسباب الحياة. فتقوم الحياة فيها مرة أخرى..

استمر (الحاج إبراهيم) في شرحه.. وأنا أستمع دون مقاطعة.. ربما استفسر خالد (رابعنا في الجلسة).. ولكن (الحاج إبراهيم).. استمر في شرح (نظريته).. وعلامات الساعة الكبرى بدأت تظهر.. الدابة مثلا.. ألم تسمعوا أنهم اكتشفوا حيواناً (مشعراً) ضخماً حجمه ثلاثة أمثال حجم الفيل؟ ومعنى (تكلمهم).. لا يعني الكلام الحسي، بل مجرد وجودها يجعل الجميع يقول (سبحان اللّه.. الذي أحيى هذا الحيوان وهو القادر على أن يحيي الموتى)..

لم أُظهر أي اعتراض!!! وأخذ صاحبنا يفسر يأجوج ومأجوج.. بأنهم ليسوا أولئك الذين حبسهم ذو القرنين وراء (الردم).. بل آخرون.. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ (الأنبياء).. وفسر بأنهم أهل أمريكا بعد أن انتهى صاحبي.. استأذنته للحديث..

ـ ابتداء.. هناك قواعد علمية يجب أن نلتزم بها حتى نصل إلى نتيجة.. لا يسعنا أن ننكر حديثاً صحيحاً، ولا يمكننا أن نفسر الآيات دون الرجوع إلى أهل الإختصاص.. فكما أن أصحاب تخصص هندسة الكمبيوتر لا يرضون أن يتكلم في تخصصهم إلا من هو من أهله فكذلك أهل الحديث.

قاطعني:

ـ ولكن.. اسمح لي.. إذا عارض الحديث الصحيح القرآن.. أنا لا آخذ بالحديث.

ـ ليس هناك حديث صحيح يعارض القرآن... وإذا شعر أحدنا بذلك يجب أن يراجع نفسه وفهمه هو لا صحة الحديث وتفسير القرآن..

هز رأسه (غير راض)..

تدخل (أبو عبد الرحمن)..

ـ دع (بو معاذ) يكمل حديثه دون مقاطعته كما سمح لك أن تقول كل ما عندك دون مقاطعة.

تابعت حديثي.. رغم أنني لم أكن متحمسا، وبدأ الاسترخاء يتسلل إلى جفوني فقد كنت على سفر منذ الخامسة صباحا..

ـ من العقيدة ألا نؤمن بالغيب إلا من مصدر صحيح وأن نؤمن بكل ما أثبت في الأحاديث الصحيحة والقرآن.. والقضية لا خيار لنا فيها.. سواء

«اقتنعت» عقولنا بما في هذه الأحاديث والآيات أم لم تقتنع.. ولقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن إسرافيل، وهو أحد أشرف الملائكة ـ سينفخ في الصور.. نفختين ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء).. ومن قواعد التفسير ألا نحيد عن مقتضى اللغة إلا في حال تعذر المعنى الظاهر!! ولا حاجة للتأويل في هذ الأمر.. وعلى أية حال.. أرى شخصيا أن الجهد الذي يضعه بعض المتخصصين في العلوم الدنيوية لتفسير الأحاديث والآيات بطرق (جديدة).. أن هذا الجهد لا ينفعهم بشيء، والأولى بهم أن يبذلوا هذا الجهد في حفظ كتاب الله والتفقه في دين الله لزيادة إيمانهم واتباعهم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.. فالعبرة بالنسبة للقيامة.. ليس (متى ستقوم؟).. بل (ماذا أعددنا لها؟) وقيامة كل منا تبدأ بموته الذي هو أقرب إليه من شراك نعله.

تفاصيل ... يوم القيامة

كلفتني إدارة البرامج الثقافية تقديم دروس عن «مشاهد يوم القيامة» قلبت الكتب.. جمعت المادة... بدأت برحلة الروح... أدىّ (خالد) صلاة عصر الأربعاء معنا.. ولايحضر إلا الأربعاء لإلتزامه بزيارة أهل زوجته...

ـ نحن نعلم أن قيامة.. كل إنسان تبدأ بموته.. فما الحاجة لمعرفة تفاصيل ما يحصل يوم القيامة؟!

وهكذا طبيعة أسئلته....

ـ أولاً.... الإيمان بما سيحصل يوم القيامة من الإيمان بالغيب وإذا أيقن المؤمن بهذه الأمور فإنه يزداد إيماناً بعظمة اللّه وقدرته ويزداد خوفاً من اللّه.. الملك الجبار.. ويستعد لذلك اليوم...

وثانياً: ذكرَ اللّه لنا كل ذلك في كتابه وجاء في أحاديث النبي صلى اللّه عليه وسلم.. ولم يرِد هذا التفصيل عبثاً ـ حاشا للّه ـ ...

قاطعني..

ـ أريد باختصار هذه التفاصيل حتى أحفظها...

ـ ولماذا تريد أن تحفظها؟!

ـ لعلي أجمع أهلي وألقي عليهم درساً في الموضوع!!!

ـ نعلم أن علامات الساعة الكبرى متى بدأت تتتابع كحبات المسبحة

وحتى النهاية... ولنبدأ بخروج الدجال.. حيث يمكث أربعين يوماً.. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع وباقي أيامه كأيامنا.. ويكون المهدي قد خرج وهو إمام المسلمين ونزل عيسى عليه السلام.. فيقتل المسيح عيسى هذا الدجال ويخرج يأجوج ومأجوج فيُؤمَر المؤمنون باللجوء إلى جبل.. ويبعث الله على يأجوج ومأجوج ما يقتلهم.. ثم يخرج المؤمنون ويعيشون سبع سنين ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشمال فلا يبقى على الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ولا يبقى إلا شرار الناس فيتمثل لهم الشيطان ويأمرهم بعبادة الأوثان فيستجيبون له وينقضي هذا الجيل ويأتي بعده جيل ثان لا يعبد الله فينفخ في الصور فأول من يسمعه رجل يلوط حوض أبله فيصعق وهنا تبدأ المظاهر الأولى ليوم القيامة من انكدار النجوم وتكوير الشمس وجمع الشمس والقمر وزوال الجبال وانشقاق الأرض... وكل ما ورد من آيات كونية.. ويصعق من في السموات والأرض بهذه النفخة إلا من شاء الله.. ولا يبقى إلا الجبار سبحانه وملك الموت وحملة العرش وجبريل وميكال وإسرافيل.. فيأمر الله ملك الموت أن يميت جبرائيل وميكائيل وحملة العرش وإسرافيل ثم يأمر الله ملك الموت فيموت... ولا يبقى إلا الجبار سبحانه.. فيقول «لمن الملك اليوم؟» فلا يجيب أحد فيقول سبحانه ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ (غافر) وهنا ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم)... ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ (طه).. ويُنزل الله ماء من تحت العرش فتمطر السماء أربعين سنة حتى يكون الماء أثنى عشر ذراعا وتنبت

الأجساد كما ينبت الزرع ثم يحيي الله حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل.. ويأمر إسرافيل فيأخذ الصور ويُؤتى بالأوراح نتوهج أرواح المؤمنين والأخرى مظلمة... وتُلقى في الصور ويأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها ويقول الله عز وجل... وعزتي وجلالي ليرجع كل روح إلى جسده. الجميع أبناء ثلاث وثلاثين... كان صاحبي ينصت حتى توقفت... فسألني..

ـ هل الأجساد تنبت تحت الأرض أو فوق الأرض؟!

ـ بل تحت الأرض... ففي رواية أنها تنبت كالطراثيث.. وفي رواية «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**» (متفق عليه).. وفي قول الله تعالى.. ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ق).. وفي قوله تعالى... ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ (الإنشقاق).. وفي قوله... ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (يس)... فالأرض تشقق عن الناس بعد نفخ الأرواح في الأجساد فيخرجون من الأرض حفاة عراة غرلا.... يجيبون الداع... في الذهاب إلى أرض المحشر.

الحشر

معظم الناس لا يعلم عن أهوال يوم القيامة إلا عموميات.. وبعضهم لايريد أن يعلم شيئا عنها فضلاً عن أن يذكرها ويتفكر فيها ويستعد لها.

ـ لقد ذكر الله مشاهد من يوم القيامة في آيات كثيرة من كتابه.. وذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة لو حرص الإنسان على تتبعها لوجد فيها الكفاية..

ـ ما أهم ما يجب معرفته عن أهوال يوم القيامة؟!

كنا ثلاثة.. أنا والمؤذن وعبدالله (أحد شباب المسجد المواظبين على حفظ القرآن)..

أولا.. كل ما ثبت في القرآن أوالحديث الصحيح يجب الإيمان به..

ثانيا.. المؤمن يأخذ الأسباب التي تعينه في تلك الأهوال.. مثلا قول الرسول صلى الله عليه وسلم «**من فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» (صحيح البخاري) فأحداث يوم القيامة كلها «كرب».. من النفخ إلى البعث إلى الحشر إلى الحساب إلى الميزان إلى الصراط.. ولا «يرتاح» المرء إلا بعد أن يدخل الجنة.. كان المتحدث (أبو محمد).. مؤذننا.. سألته.. وأنا أعلم أنه يحفظ القرآن...

ـ لو تتبعنا آيات (الحشر)....

ـ يخبر الله تعالى أنه يحشر الجميع الإنس والجن.. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (الأنعام).. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ (مريم) ويريد الله منا أن نؤمن يقيناً بأنه سيحشرنا .. لنستعد .. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ (المائدة)... وإن الأمر يسير عليه سبحانه.. ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ (ق)... والناس يتفاوتون في توجههم من الأجداث إلى أرض المحشر.. فمنهم الراكب ومنهم الماشي ومنهم الأعمى ومنهم من يمشي على وجهه.. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ (الإسراء).. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ (طه).. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ (طه).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ (مريم) .. ويقف الجميع في أرض المحشر هذه هي الآيات التي تحضرني عن المحشر الآن..

ـ جزاك الله خيراً.. ونعلم جميعاً أن أرض المحشر بيضاء مستوية لا تضاريس فيها يقف الجميع في عرق وحر.. واقتربت (الشمس) ـ من الرؤوس وكل حسب عمله..

يقفون على هذه الهيئة مدة يعلمها الله عز وجل لا يكلمهم أحد..

ولكن المرء يحشر مع من يحب.. (أصله متفق عليه) كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.. فالمؤمنون مع أحبائهم والكافرون مع بعضهم.. ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ (الصافات).

وعندما يطول بأهل المحشر الوقوف في هذا الوضع العصيب يتحدثون بينهم أن يذهب أحد ليشفع عند الله عز وجل ليبدأ الحساب.. فيذهبون إلى آدم فيعتذر ونوح كذلك وإبراهيم وموسى وعيسى وكلهم يعتذر إلى أن يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم.. فيقول «**أنا لها**» (متفق عليه) وهذه هي الشفاعة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم.. يحمده عليها جميع أهل الموقف.. حيث يذهب الرسول صلى الله عليه وسلم فيسجد لله ويُلهَم من تحميده وتسبيحه فيقال.. «**يا محمد ارفع رأسك سل تعط**» (متفق عليه)... فيشفع صلى الله عليه وسلم عند الله ليبدأ الحساب.. ويجيء رب العزة على العرش تحمله ثمانية ملائكة والملائكة صفاً صفاً يحيطون بجميع الخلق فيمكث الله ما شاء.. وهنا يتميز بعض الناس.. ويكونون في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله.. إلى أن يبدأ الله حساب البشر.

مشاهد.. من الحشر

ـ بعد أن يقبل الله تعالى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ليبدأ الحساب.. والخلق جميعا في أرض المحشر.. كل حسب عمله.. والشمس على الرؤوس.. يجيء الرب عز وجل مستوياً على عرشه يحمل العرش ثمانية من الملائكة وتنزل بقية الملائكة صفاً صفاً تحيط بالخلق جميعا إِنسِهِمْ وَجنهم وَدَوابِهِم ولا يتكلم أحد.. **فإذا بجهنم قد أُتي بها تُجَرُّ جَراً لها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك.** (صحيح مسلم) حتى توضع على مرأى ومسمع من أهل المحشر الذين يريد الله لهم أن يروا هولها ويسمعوا حسيسها.. فيخرج عنق منها يلتقط بعض الناس من بين الناس ممن يستحقون النار كما تلتقط الحَمَامَةُ الحَبَّ لا تخطئ من أرادت بأمر الله.. (السلسلة الصحيحة) والجميع لايزداد إلا خوفاً وفَرَقاً... ويتميز الناس بعد ذلك.. فيُظِلّ اللّه في ظل عرشه فئات من الناس.. أهل الصدقات.. بصدقاتهم والشباب الذين نشأوا في طاعة اللّه والأئمة العدول والمتعففون والمتحابون في اللّه والذين تعلقت قلوبهم في المساجد.. ويتميز المتزاورون في اللّه والمتحابون في اللّه على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والصديقون والشهداء...

كان الحضور بين ثلاثين وأربعين من المصلين.. وكانت الخاطرة بعد صلاة المغرب.. تابعت حديثي...

ـ كما يتميز آخرون بالسوء والعياذ باللّه.. فيأتي أناس يحملون على رقابهم إِبِلاً أو بقرا أو شياهاً.. يعرفهم أهل الموقف أنهم أخذوها بغير

حق غُلولاً من الأموال العامة.. ويأتي آخرون يحملون أكداساً من الذهب والفضة.. وآخرون بُطِحُوا على الأرض.. (أصله متفق عليه) تدوسهم إبل أو بقر أو شياه إذا انتهى آخرها بدأ أولها.. كانوا لايُخْرِجُونَ زكاة أنعامهم.. وآخرون وقفوا في هذا الموقف العصيب.. فرفعت لهم ألوية كتب عليها هذه غدرة فلان بن فلان.. وذلك أنه غدر بالعهد ولم يف بالمواثيق.. (أصله متفق عليه)

.. ولا يتكلم أحد ينتظرون الجبّار عز وجل أن يقضي بين العباد.. فإذا بالمنادي ينادي.. من كان يعبد شيئاً فليتبعه.. ويمثل للناس ما كانوا يعبدون من دون الله.. من كان يعبد صنماً يراه.. ومن كان يعبد ناراً يراها.. ومن كان يعبد الصليب يراه.. ومن كان يعبد عيسى يمثل له صورته.. ومن كان يعبد عُزيراً يرى صورته.. فيتبع كثير من أهل المحشر ما يرون.. فَيُكَبُّونَ في النار.. هم وما يَعْبُدونَ من دون الله...

قاطعني أحدهم مستئذنا بالسؤال...

ـ هل يكون هذا قبل أم بعد أن ينادى آدم (عليه السلام)... «**أخرج يا آدم بعث النار**» (متفق عليه)...

ـ بعث النار من ذرية آدم هم هؤلاء وغيرهم. حيث يدخل النار(٩٩٩) من كل ألف.

أي لا ينجو إلا واحد من ألف من ذرية آدم.. فالعدد يشمل هؤلاء وغيرهم.. كل هذا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.. ورغم ذلك فإن هذا اليوم العسير يمر على المؤمن كصلاة عصر أو صلاة ظهر.. ولا ينتصف نهار ذلك اليوم إلا وقد قيل لأهل الجنة إلى الجنة ولأهل

النار إلى النار.. إلا أن الأحوال تتنوع فبينما الناس فيما هم فيه.. يُنادى محمد صلى اللّه عليه وسلم.. «**أدخل من أمتك سبعين ألفا من الباب الأيمن من الجنة**» (متفق عليه).. فيدخل أول فوج من هذه الأمة الجنة بلا حساب ولا عذاب وجوههم كالبدر.. يمرون على الصراط بقيادة الرسول صلى اللّه عليه وسلم فيستفتح لهم فيفتح له.. وكانوا مع الرسول صلى اللّه عليه وسلم قبل ذلك عند حوضه.. ثم يدخل مع كل واحد من هؤلاء سبعون ألفا أيضا بلا حساب ولا عذاب.. وفي الحديث عن أبي أمامة قال سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي**» (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه - صحيح) يحدث كل هذا ولم يبدأ الحساب بعد.

حوض النبي صلى الله عليه وسلم

يُبعث الناس من قبورهم أظمأ ما كانوا وأنصب ما كانوا وأجوع ما كانوا، ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ (القمر)... ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ (طه).

إلى أرض المحشر.. ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (المعارج).. منهم من يمشي على رجليه ومنهم من يمشي على وجهه.. ومنهم من يتخبط يمنة ويسرة.. ومنهم من يمشي سويا.. وإذا بلغوا أرض المحشر.. لا يكلم أحدٌ أحداً.. ينتظرون.. ليس لأي أحد إلا موطئ قدمه.. ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ينتظر أمته على الحوض.. كما أخبر «**أنا فرطكم على الحوض**» (صحيح مسلم).. يسقي بعضهم.. ويشرب آخرون بأكواب بلغت عدد نجوم السماء.. طوله كعرضه، أكثر من «١٥٠٠» كم ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا.. (صحيح الجامع).

ـ وهل يشرب جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم من حوضه؟

ـ كلا.. أخبر صلى الله عليه وسلم عن أناس يأتون الحوض يريدون الشرب «**فيُأخَذون ذات اليمين وذات الشمال فأقول يارب أمتي أمتي فيقال.. إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ما زالوا القهقرى منذ فارقتهم فأقول سحقا سحقا**» (متفق عليه)... فأصحاب البدع من الفرق الضالة التي تنتسب للإسلام لا نصيب لهم في حوض النبي صلى الله عليه وسلم

ولا في شفاعته.. أما المحبون للنبي صلى اللّه عليه وسلم المتبعون لسنته المطبقون لتعاليمه فهم الذين يرِدون عليه الحوض يشربون منه..

ـ وماذا عن باقي الأمم؟!

ـ لقد جعل اللّه لكل نبي حوضاً.. يرد عليه من آمن به واتبعه.. ولايشرب من حوض النبي إلا أتباعه.. وإن رسولنا محمد صلى اللّه عليه وسلم ليعرف أمته من آثار الوضوء، حيث إنهم يأتون غرًّاً محجلين ـ أما غيرهم من مسلمي الأمم الأخرى ـ فإنهم لا يميزون بهذا الشرف حتى أن المسلم من أمة محمد إن كان من المصلين وأدخل النار لكثرة ذنوبه فإن النار لا تمس مواضع السجود!! (صحيح مسلم).

ـ أليس هو الكوثر الذي ذكره اللّه في القرآن؟

ـ الكوثر نهر في الجنة، والحوض في أرض المحشر... ولقد وصف الرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الكوثر فقال: «**حافتاه من ذهب ومجراه الدر والياقوت وتربته أطيب من المسك**» (السلسلة الصحيحة). أما حوضه صلى اللّه عليه وسلم فله ميزابان من الجنة.. يصبان في الحوض..

ـ بعض الناس ربما ينكر بعض هذه الأمور.. الحوض مثلا؟

ـ قاطعته..

ـ هذا محروم من أن يشرب منه.. فأول شرط لكي يشرب المرء من حوض النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يؤمن به دون شك، ويصدق حقيقة أنه سيكون يوم القيامة ويؤمن بأوصافه التي جاءت في الحديث.. فمن لا يؤمن بهذا ولا يصدقه فإنما يحرم نفسه الشرب منه!!

ـ هل يجوز أن يدعو الإنسان ربه أن يشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم؟

ـ بالطبع.. بل هو من أبلغ الدعاء وأحسنه، ولكن من دعا بهذا ينبغي أن يبذل الأسباب، أما التوقف عند الدعاء فحسب، فهذا من (الظلم في الدعاء) كمن يدعو الله أن يرزقه وهو لا يسعى في طلب الرزق، فالمرء ينبغي عليه أن يدعو بالشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويبذل الأسباب من حب النبي صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وتطبيق سنته والذود عنه ونشر تعاليمه، وبذلك ينال بإذن ا لله الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

الحساب....

كثيراً ما يردد الناس (الحساب يوم الحساب).. بعضهم على سبيل التندر والمزاح، وبعضهم استهزاء!!

ـ من ينكر الحساب فإنه يكفر كُفراً أكبر يخرجه من ملة الإسلام ويوجب له الخلود في نار جهنم.

ـ وهل نؤمن بأن هناك حساباً إجمالا؟ أم هناك تفصيل يجب أن نؤمن به؟

ـ كل آية ذكرت الحساب يجب أن نؤمن بها، وكل حديث صحيح ذكر الحساب يجب أن نؤمن به.

ـ هل لك أن تذكر لنا بعض ما ثبت في تفصيل الحساب؟!

كنا في اجتماعنا نصف الشهري عند أحد الأقارب ننتظر اكتمال العدد لإحضار العشاء..

ـ لقد وصف الله نفسه عز وجل ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ (غافر).. وذلك أن الله يحاسب جميع الخلق في آن واحد، يعاقب البعض ويعرض على البعض أعمالهم، ويستر البعض، فالحساب يتنوع حسب حال الإنسان في الدنيا.. مثلاً «**يدني الله المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، قال: فيقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**» (متفق عليه).

ـ نحن نعرف حديث عائشة عن قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا

(٨)﴾ (الانشقاق) بأن الحساب اليسير هو العرض.. أي مجرد عرض الأعمال على العبد، أما من نوقش الحساب فقد عذب.. (متفق عليه)

ـ بعض الناس يساقون إلى النار سوقاً مباشراً.. **(وذلك أن الله يجمع الخلائق ثم يأمر أن من كان يعبد شيئا فليتبعه.. فيمثل لمن كان يعبد الأصنام أصنامهم فيتبعونهم إلى النار.. ومن كان يعبد عيسى تمثل له صورة عيسى عليه السلام فيتبعه إلى النار.. ومن كان يعبد عزيراً تمثل له صورته فيتبعه إلى النار، ومن يعبد النار كذلك والشيطان كذلك)**.. (صحيح البخاري ومسلم)

وفي المقابل يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدخل الجنة من أمته من ليس عليهم حساب ولا عذاب.. فيدخل من هذه الأمة سبعون ألفاً ومع كل واحد سبعون ألفاً.. كلهم يدخل الجنة (بلا حساب).. فلا ينالهم شيء من هول الحساب..

ـ وما التقاصّ؟

ـ قبل أن يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة وبأهل النار إلى النار من كانت عليه مظلمة، فإنه يأخذها من ظالمه.. ولكن الفوج الأول الذين يدخلون الجنة لا مظالم عليهم.. وأهل النار يطلبون مظالمهم وإن كانوا كفاراً.. ويعطون حقوقهم بالقسط والعدل وإن كان الظالم من أهل الجنة...

ـ وماذا ينتفع الكافر المخلد في النار بالحسنات التي يأخذها؟!

ـ النار والعياذ بالله دركات.. وعذاب النار يتفاوت من درك إلى درك.. أضعفهم من توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه

وأشدهم المنافقون في الدرك الأسفل من النار.. ولاشك أن عذاب من في الأعلى أخف من الذين في الأسفل وإن كانوا يرون ألّا أحد أشد منهم عذاباً.. فيقضي الله أولًا بين العباد.. حتى أن بعض الناس يضيع منه أجر الصلاة والصيام والزكاة ويدخل النار بسبب ظلمه للناس، كما في (حديث المفلس) وأول ما يقضى بين الناس في الدماء.. أي من قتل نفسا بغير حق.. وبعض المتخاصمين يصلح الله بينهم.. ثم بعد الحساب على حقوق العباد.. تعرض العبادات وأولها الصلاة.. وتوزن الأعمال الحسنات في كفة، والسيئات في كفة وهذه من المواقف التي لا يعرف بها أحدٌ أحداً.. حتى يرى ترجح الحسنات أم السيئات ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (المؤمنون).. والوزن بقيمة العمل من حيث الإخلاص والمتابعة..

ـ وماذا عن كلام الأعضاء، أعني أعضاء الإنسان؟

ـ بعض العباد ينكرون ذنوبهم ويجادلون الله، يظنون أنهم ينجون من العذاب، فيختم الله على أفواههم ويُنطِق أرجلهم وأيديهم وجلودهم بما كانوا يكسبون.

ـ إنه لموقف عصيب..

ـ إن المؤمن يحاسب نفسه.. ويستعد لذلك اليوم، وأنواع الحساب كثيرة متنوعة وإذا سأل أحدنا ربه أن يدخله الجنة بلا حساب ولا عذاب ينبغي أن يعمل لأجل أن يستجاب له.. وإلا فالحساب شديد إلاّ على من رحمه الله وعفا عنه ويسّر عليه الحساب.

وتكلّمنا أيديهم!

يظن بعض المثقفين أنهم يقدمون خدمة جليلة للإسلام بمحاولاتهم تفسير الغيبيات «بطريقة علمية» كما يحلو لهم أن يصفوها، قالوا عن الدجال ـ المذياع ثم قالوا الكمبيوتر ثم قالوا «الدش».. وقالوا عن الدابة التلفاز وقالوا الهاتف.. وقالوا عن (الصُوّر).. المجرات السماوية.. وهكذا أجهدوا عقولهم في محاولة تجسيم الغيب وإخراجه إلى الواقع.. وما ذاك إلا لجهلهم رغم أن معظمهم يحمل أعلى الدرجات العلمية في تخصصه.. ولكنم يجهلون أبسط قواعد العقيدة الإسلامية.

جمعني أحد اللقاءات باثنين منهم.. حاورتهما طويلاً.

ـ المطلوب من المسلم أن يؤمن بالأخبار الثابتة عن اللّه وعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، ويصدقها دون شك أو ريب بأنها واقعة لا محالة على الوصف الذي جاء في القرآن والحديث الصحيح.. ولا يمكن أن نطبق قوانين الشهادة على الغيب.. قانون الغيب هو صحة الخبر فإن صح فإننا نؤمن به ونصدّقه.. دون جدال برغم أن عقولنا لا تقبله.. هذه العقول لم تخلق لتدرك الغيب وتختبره بل لتتعامل مع الشهادة فقط.

ـ هل يجب علينا مثلاً أن نؤمن أن اليد تتكلم حقيقة يوم القيامة؟

ـ جزماً.. ودون شك.. ومن أنكر أن بعض الأيدي.. بل بعض الأرجل أيضا والجلود ستنطق نطقاً يسمعه صاحبه.. من أنكر ذلك يكفر لأنه أنكر آيات صريحة من كتاب اللّه عز وجل حيث يقول اللّه عز وجل.. ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟

يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ (يس).. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ (فصلت).. فهل تحتاج هذه الآية إلى تأويل أو هل فيها إحتمالان؟.. كلا.. إنها صريحة وواضحة..

- ولكن..

قاطعته..

- ليس هناك (ولكن) في الغيب.. الإيمان بالغيب ركنٌ من أركان الإيمان من لم يحققه فلا إيمان له..

- وهل نؤمن مثلا أن بعض الناس «يمشي على وجهه يوم القيامة»..

- هل هذا الخبر صحيح ثابت؟

- نعم.. من حيث السند والمتن هو حديث صحيح..

- إذن نؤمن به ونصدقه.. وبالمناسبة تكملة الحديث تبين أن هذا الأمر سيقع حقيقة يوم القيامة.. فقد سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عن حقيقة مشيهم على وجوههم فرد صلى الله عليه وسلم «**إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**».. وفي بعض الروايات تفصيل أكثر.. «**وإنهم ليتجنبون الحصى والشوك عن وجوههم**» (البخاري ومسلم).. فلا حاجة لأي تفسير آخر خلاف الظاهر.. والإيمان بالغيب أعظم صفة مَدَح الله بها المؤمنين.. فكل ما لا ندركه فهو غيب.. الملائكة.. الجنة.. النار.. أهوال القيامة.. وكلها يجب الإيمان بها.

لا أعذار يوم القيامة

من باب الإحتياط توجهت إلى وكالة السيارات لأطلب مفتاحاً إضافياً.. أخبرني الموظف أن الأمر يستغرق ساعة من الزمن.. حسبتها بسرعة فقررت الإنتظار على أن أذهب لإنجاز عمل آخر.. أخذت ركناً هادئاً.. مع الصحيفة اليومية وكوب القهوة..

مضت ربع ساعة ممتعة.. هادئة.. دخل أحدهم.. سأل عن أشياء لم تكن إجابتها عندي.. جلس في المقعد الآخر.. بجانبي.. بدا مزعجاً من البداية.. لم أجد مفراً من أن أضع الصحيفة جانبا لأتجاوب مع أسئلته..

ـ لماذا يشدد الملتزمون على أداء الصلاة مع أن الإنسان يكون مشغولاً فتفوته إحدى الصلوات؟!

ـ التشديد على هذا الأمر ليس من «الملتزمين».. بل من الله عز وجل فقد توعد الله من يسهو عن الصلاة.. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ (الماعون).

فما بالك بمن يترك الصلاة ولا يصليها..

ـ ولكن كثرة مشاغل أحدنا.. أو ربما عدم توافر مكان للصلاة.. مثلا تريد أن تخرج مع أسرتك بعد العصر.. لاتكاد تصل مكاناً حتى يؤذن المغرب.. ثم العشاء وربما تكون على غير وضوء فتقول أصليها إذا رجعت.. فتتعشى وتنسى أو تكون متعبا.. فلا تصليها.. وأبناؤك

وزوجتك.. صعب أن يؤدوا كل صلاة في وقتها وأنتم في نزهة أسرية خارج المنزل..

لم يثر اهتمامي حديثه الذي حاول أن يظهره بصورة مثيرة منطقية.

ـ كل هذه الأعذار لا قيمة لها عند الله عز وجل.. عندما يقف الإنسان بين يدي ربه فإنه لا عذر له.. ولا مبرر لما ارتكب من معاصي أو ترك من طاعات.. بعض الناس يظن أن الملام على معاصيه آباؤه وبعضهم يظن أن المسؤول عن معصيته الشيطان وآخرون ـ وهؤلاء هم الأسوأ ـ يظنون أن سبب ضلالهم هو الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً..

ـ كلامك صحيح مئة في المئة..

ـ هذا الكلام ليس من عندي ولكن الله ذكره في كتابه مثل قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ (الأنعام).. وقال الله مخبراً عن أهل النار.. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الصافات).. ثم يخبر الله عن مصيرهم جميعاً.. ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الصافات).. وعن أولئك الذين يعتذرون بآبائهم.. ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا

ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الصافات) .. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الزخرف).. كل هذه الأعذار سمَّاها الله (ظنًّا).. و..(كذباً) أما (اليقين).. فهو أن كل إنسان سيحاسب على أعماله بمفرده ومسؤولٌ عما فعل في هذه الدنيا ولا عذر له بين يدي الله عز وجل.. بل يتبرأ الجميع من الجميع.. أولهم الشيطان ينكر دوره في الإغواء ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (إبراهيم)..

بل يود المجرم لو يفتدي بأقرب الناس له وينجو.. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ (المعارج).. كل إنسان مسؤول عن عمله.. يحاسب على ما ارتكب من معاصٍ وما ترك من طاعات.. ولا أعذار يوم القيامة..

الحسرات يوم القيامة

ـ أراك تكثر من تعظيم شأن الآخرة وتهون من شأن الدنيا.. حتى كأنك تقول للناس لا تعيشوا دنياكم..

ـ مهما حاولت أن أعظم شأن الآخرة فلن أبلغ شأنها.. إننا في زمن تغلغلت الدنيا فينا حتى بلغت النخاع.. جهدُنا لأجلها.. حديثُنا عنها.. تفكيرنا فيها.. نغدو ونروح في طلبها.. ولولا النداء للصلاة لما تذكرنا الآخرة أبداً، اللهم إلا إذا كنا في المقبرة!!

ـ هوّن عليك يا صاح.. الأمر أيسر من ذلك..

ـ بل الأمر أشد من ذلك.. هل تعلم أن من أسماء يوم القيامة.. (يوم الحسرة).. حيث قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (مريم).. وكأن الشعور العام يوم القيامة الحسرة.. يقول المفرّطون.. ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ (الأنعام).. حتى الذي وقع منه شيء من التفريط يقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الزمر).

قاطعني: ما هي الحسرة.. في كلمات.. أعرف شعور (الحسرة).. ولكن كيف نعرفها؟!

ـ (حسر) الشيء. انكشف.. و(حسر) بكسر السين (أسف) و(حسر) بضم السين تعب.. ومنه.. ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الأنبياء).. و(الحسرة) شدة

التلهف والحزن.. و(يوم الحسرة) يوم يبلغ الحزن ذروته على ما فات.. هل أشبعت فضولك اللغوي؟!..

ـ إنه ليس فضولاً.. بل أظن أن المعاني القرآنية تتضح أكثر إذا عرفنا مرجعها اللغوي.

ـ الأهم من ذلك.. أن نؤمن أن يوم القيامة (يوم الحسرة).. وأن نسعى أن نتجنب هذه الحسرة.. وربما (الحسرات).. الناس يتحسرون على (التفريط) وإضاعة الأموال والأوقات.. يتحسرون على أنهم لم يسجدوا سجدة زيادة أو يسبحوا تسبيحة أخرى.. لأن هذا الذي ينفع يوم القيامة.. حتى المؤمنون يندمون على ساعة قضوها في غير ذكر اللّه.. أما (الحسرة الكبرى) فهي لأهل الشرك الذين أَبَوا إلّا أن يجعلوا للّه أنداداً.. ونسبوا إليه الولد.. واتخذوا من دونه آلهة.. كما جاء في الحديث القدسي أنه يقال لهؤلاء يوم القيامة.. «**يا ابن آدم لو كان معك مثل مال الدنيا أكنت تفتدي به، فيقول: نعم.. فيقول اللّه عز وجل: «لقد أمرتك بأقل من ذلك.. أمرتك ألا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي**» (البخاري ومسلم).. ولا شك أن من أنواع العذاب أن يرى الكافر منزله من الجنة لو أنه آمن (فيتحسر) على ما فاته.. ويتحسر الناس يوم القيامة على ما أضاعوا من صلاة وصيام وزكاة.. وعلى ما أخذوا من غير وجه حق وعلى ما وقع منهم من ظلم.. فترى الظالمين الجبابرة أذل شيء يوم القيامة.. وربما كان شعور (الحسرة).. هو آخر ما ينتاب الناس يوم القيامة بعد الفزع والخوف والتعب والترقب والحياء بين يدي اللّه.. ثم إلى المصير الأبدي.. جنة فلا تعب فيها أبداً، بل نعيم دائم.. أو نار فيها من ألوان العذاب ما لا يعلمه إلا اللّه عز وجل. نسأل اللّه العافية.

لماذا الجنة والنار؟!(١)

بعد أن استمتعنا بدرس عن صفات الله ـ (عز وجل) وفي طريق عودتنا إقترح عليّ صاحبي أن نتوقف عند أحد المطاعم لتناول وجبة عشاء «خفيفة».. واستقر الرأي على أحد مطاعم الفول والفلافل..

ـ وهناك نقطة تمنيت أن يسهب في شرحها في الدرس.. عندما تكلم عن رحمة الله وذكر قصة تلك المرأة التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم تبحث عن ابنها فلما رأته حضنته.. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم.. أترون هذه ملقية ابنها في النار؟.. قالوا: لا..فقال صلى الله عليه وسلم: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**» (متفق عليه).. إذاً لماذا النار؟ ولماذا العذاب يوم القيامة؟.. إذا كانت رحمة الله ستشمل الجميع يوم القيامة.. فلماذا لا يعفو عن الجميع ويدخل الجميع الجنة؟!!

نظرت إلى صاحبي.. مستغرباً..

ـ كيف توصلت إلى هذه النتيجة؟.. ألا تشعر أنك أغفلت قضايا كثيرة؟

ـ أظن أنه تفكير منطقي متسلسل.. كما قال الشيخ.. «**لو علم الكافر رحمة الله ما قنط من دخول الجنة**» (السلسلة الصحيحة).. فلماذا النار؟ ولماذا العذاب؟.. أنا أؤمن بأن النار حق.. ومن الكمال وجودها.. ومن العدل العذاب لمن يستحقه فيها.. ولكن أيضا أتساءل: لماذا العذاب يوم القيامة؟ ولماذا الخلود في العذاب؟

ـ لقد خلق الله الجنة.. وخلق النار.. وأمر الخلق ونهاهم وبيّن لهم.. وأقام عليهم الحجة التامة.. وطلب منهم القليل ووعدهم بالكثير.. وهم إبتداء عبيد مخلوقون يجب عليهم طاعة سيدهم وخالقهم وربهم.. ولا خيار لهم في ذلك.. ومع ذلك رغّبهم الله بالنعيم وأنذرهم عذاب الجحيم.. وأقسم لهم أنهم سيبعثون يوم القيامة ويجازون على أعمالهم..

بعض الخلق استجابوا.. اتباعا لأمر الله.. ورغبة في نعيمه.. وخوفاً من عذاب النار.. وآخرون لم يستجيبوا.. فما هو العدل.. الحق.. أليس العدل أن ينعّم هؤلاء ويعذّب أولئك؟..

ثم.. من يعذَّب يوم القيامة.. لا يدخل النار إلا وهو يقرّ أنه لم يُظلم وأن النار مآله وليس الجنة.. ويعترف ويقر بأنه يستحق هذا العذاب.. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ (غافر).. فليس من العدل أن يدخل العاصون الجنة كالمتقين.. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (القلم).. والذين يدخلون النار أصناف..

حضر الطعام.. «ماعون حمص وآخر فول وثالث فلافل ورابع مكدوس مع التوابع»...

ـ ماذا تعني بأن الذين يدخلون النار أصناف؟

ـ الحساب يوم القيامة يكون على التقصير تجاه الله والتعدي على حقوق العباد.. أما حقوق الله فتُقضى على مبدأ المسامحة.. عدا الشرك.. من أشرك بالله فإنه لا يغفر الله له.. هذا هو الذنب الوحيد الذي يؤدي إلى الخلود في النار.. وبالطبع كل أنواع الشرك.. لا تظن أن

الشرك هو عبادة الأصنام والأحجار فحسب.. وأما حقوق العباد فلا بد من إرجاعها إلى أصحابها يوم القيامة.. من حسنات المرء.. والله تبارك وتعالى «يصلح» بين عباده ويتفضل عليهم حتى يجعل ـ أحياناً ـ المقتول يأخذ بيد قاتله إلى الجنة بعد أن يرضيه..

ـ إذن من قال (لا إله إلا الله) يدخل الجنة؟

ـ كلا.. فالمنافقون قالوا (لا إله إلا الله محمد رسول الله).. ومع ذلك قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ (النساء)..

من قال (لا إله إلا الله) صادقاً ولم يأت بما ينقضها.. يدخل الجنة.

ـ وما الذي ينقضها؟

ـ الشرك: دعاء غير الله.. الذبح لغير الله.. إدعاء الولد لله.. الإستهزاء بالدين.. إهانة القرآن.. الإستعانة والاستعاذة بغير الله.. فلو أن رجلاً تعبد الله عند الكعبة.. وكان يدعو غير الله عند الحجر الأسود.. ما نفعه عمله.. ولو أن رجلاً يشرب الخمر ولكنه يؤمن أنها معصية، وآخر لم يشرب الخمر بل ويكرهها ولم يذقها طوال حياته ولكنه يرى أنها حلال ولا شيء فيها ولا شيء في شربها.. الأول عاص قد يغفر الله له.. والآخر كافر خارج عن الملة لا يغفر الله له.. وهكذا المؤمن يخاف أن يقع في الشرك والذنوب عموماً.. ويُخلص في التوبة رجاء المغفرة.. ويحسن الظن في الله إذا دنا أجله..

ـ لن أقول هذا الكلام.. ولكن أقول: إن خلق النار وتعذيب من يستحق فيها هو من عدل الله وهو أصلح للبشر في حياتهم وبعد مماتهم ولا يناقض ذلك رحمة الله.. بل بعد أن يقضي بأهل النار إلى النار.. يحمد أهل الموقف جميعا الله تبارك وتعالى ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (الزمر).

لماذا الجنة والنار؟!(٢)

تجاوز الوقت العاشرة.. ويعلم صاحبي عدم قدرتي على السهر.. فما أن تثاءبت.. حتى بدأ بالنقد الجارح.. وامتطينا المركبة عائدين.

ـ المسلمون الذين يؤمر بهم إلى النار يوم القيامة.. يعذبون لفترة من الزمن ثم يؤمر بهم إلى الجنة.. ما الذنوب التي ارتكبوها؟

ـ عصاة المسلمين أحوالهم مختلفة يوم القيامة.. منهم من يكون عذابه استعراضاً لذنوبه بين يدي اللّه، عز وجل، حتى ليتساقط لحمه خجلاً من اللّه.. ومنهم من ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته في الميزان.. وهذ أمره إلى اللّه إما أن يغفر له ذنوبه الزائدة.. إن كانت مما يغفر.. وإما أن يشفع له الرسول صلى اللّه عليه وسلم.. وإما أن يشفع له بعض المؤمنين.. وإما أن يعذب على قدر ذنوبه.. تبدأ أفواج من أهل النار بالخروج منها بعد أن نالوا جزاءهم.. وتطهروا من ذنوبهم.. ويمرون على نهر الحياة حيث تزول عنهم آثار العذاب.. ثم يُؤمر بهم إلى الجنة.. ورسولنا صلى اللّه عليه وسلم لا يهدأ له بال حتى يخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان.. «**يا محمد أخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» (السلسلة الصحيحة).. وهكذا إلى أن يخرج من يمكن إخراجهم..

فالذين أدخلوا النار.. تطهروا من ذنوبهم.. وتهيؤوا بعد ذلك لدخول الجنة..

ـ وماذا عن آخر من يخرج من أهل النار؟!

ـ هذا جاء وصفه في أحاديث كثيرة.. منها.. «**رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول له الله عز وجل: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا..**» (متفق عليه) فهذا أدنى أهل الجنة منزلة وآخر من يخرج من النار.. وبعده يبقى المخلدون في العذاب لا يخرج منهم أحد..

ـ وهذا الذي هو آخر أهل النار خروجاً منها.. ماذا فعل من الخير؟!

ـ لم يفعل شيئاً من الخير إلا أنه لم يشرك بالله.. فذاق من العذاب ما ذاق ومرت عليه أوقات ظنَّ فيها أنه أشد الناس عذاباً في النار.. وأنه لا مخرج منها.. ونسي كلّ نعيم ذاقه في الدنيا..

ـ وأول من يدخل الجنة؟!

ـ أول من يدخل الجنة.. زمرة على صورة القمر ليلة البدر.. والذين بعدهم على هيئة أشد كوكب درّي في السماء إضـاءة.. فأهل الجنة يتفاوتون في النعيم.. حتى إن بعضهم يرتفع عن بعض كما ترتفع الكواكب عن بعضها.. وكلٌّ على حسب عمله في الدنيا..

ـ وأول من يدخل النار؟

ـ من أول من تسعر بهم النار ـ من المسلمين ـ يوم القيامة ثلاثة: عالم

ومقاتل ومنفق.. اتخذوا العبادة سبيلاً لمديح الناس.. (أصله في مسلم) فكانوا يراؤون الناس بأعمالهم.. هذا عدا الذين يؤمر بهم إلى النار قبلهم ولا تحضرني الأحاديث التي تذكر أخبارهم.

وأيا كانت الحال.. فالمسلم يسأل الله ألا يعذب في النار على الإطلاق.. ويجتهد أن يكون من أهل الجنة بلا حساب ولا عذاب.. ويدعو الله أن ينال ذلك.

وإنْ منكم إلا واردها

اتصل بي معاتبا..

ـ لماذا لا تسأل عني؟ لماذا لا تتصل بي إذا لم اتصل بك؟

ـ أحدنا يمر بمرحلة في حياته لا يهتم بمن يأتي ومن يذهب ومن يصل ومن يقطع.. وأظن هذه إحدى علامات تقدم السن أو كثرة العمل.

ـ وأنت هل تقدم بك السن أم كثر عليك العمل؟

ـ بل تقدم بي السن.. ما رأيك أن تصلي معنا عصر الغد (الأربعاء) كعادتك ونخرج سوياً.

ـ إن شاء الله..

إلتقينا في موعدنا.. وكأننا لم ننقطع طيلة ثلاثة أشهر.. بدأ حديثنا كالمعتاد.. تنوعت المواضيع سألني..

ـ أحيانا أقرأ أن بعض الصحابة قام الليل بآية واحدة.. يكررها.. مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ (الطور).. أظنني أريد أن أصل ـ أحيانا ـ إلى هذه المرحلة.

ـ بعض الآيات تؤثر في القلب تأثيرا عجيباً.. يستمر أثرها ساعات وربما يستمر أياماً.. كما كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يمرض.. ويعاد.. من شدة تأثره بآية من كتاب الله.. وهذا التأثر يحتاج إلى حضور للقلب.. وتدبرٍ في العقل.. وإيماناً وعملاً.. يتصور المرء أبعاد الآية.. ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾.. بالتأكيد إنه واقع.. وهو عذاب.. وعذاب

من؟ ربك.. الجبار.. المتكبر.. العزيز.. القادر.. المهيمن.. ذو الانتقام.. أين المفرّ من هذا العذاب؟.. لا مفرّ.. إلا إلى الله.. ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ (الذاريات).. لا ملجأ ولا مَنْجى من الله.. إلا إليه ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠﴾ (الطور)..

بقي صاحبي منصتاً...

ـ آية أخرى تهز المؤمن ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ (مريم).. قضى ربك وأوجب على نفسه عز وجل أن يورد الجميع نار جهنم.. بمعنى أن يمر الكلُّ على النار.. وينجو من هذا الممر من يستحق.. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ (مريم).. فكان بعض السلف يقول.. «أكّد لنا الورود.. فكيف الصدور بعد ذلك»؟..

ـ أليست هذه الآية بمعنى المرور على الصراط؟!

ـ بلى، وهل المرور على الصراط أمر هـيّن..؟ الصراط يمتد على طَرَفي جهنم.. بطولٍ لا يعلمه إلا الله.. وعلى جَنَبتَي الصراط كلاليب.. مهمتها.. خطف الناس ورميهم في جهنم التي هي أسفل هذا الجسر.. جسر دقيق كالشعرة.. حادّ... كالسيف.. زَلِق لا تثبت عليه قدم. من ينجو من هذا الوضع الذي لا يقدر قدره إلا الله؟.. ينجو «الذين اتقوا».. ومن منّا يستطيع أن يصنف نفسه مع «الذين اتقوا».. أفضل المتقين لا يملكون إلّا أن يرجوا أن ينجيهم الله فيعبروا الصراط دون خطف الكلاليب ودون أن يُكردسوا في النار.. فما بالك بنا نحن.. ولسنا بخير من أولئك.

ـ وكيف أصل إلى المرحلة التي أتأثر فيها بهذه الآية وغيرها؟!

ـ إنه الإيمان والعمل... الإيمان يزيد بالعمل الصالح.. والعمل الصالح يكثر بالإيمان، ومن العمل الصالح العلم الصحيح.. هذه متلازمات من أخلص لله فيها وصدق النية وأخذ بالأسباب رزقه الله شيئا في قلبه لا يُشترى بأغلى الأثمان ولا يباع في أرقى الأسواق.. إنه شيء في القلب لا يعرفه إلا من رزقه الله إياه.. وهو النعمة الحقيقية التي تستحق أن يسعى إليها الإنسان.

وإن منكم إلا واردها (٢)

إستمتعت بالصلاة خلف أئمة مختلفين في صلاة التراويح والقيام منهم من يقرأ الآية فلا يستطيع تجاوزها، ذات ليلة وكان إمامنا يقرأ سورة مريم، توقف عند قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ (مريم) فبكى وأبكى.. أعادها مرة وأخرى.. حتى حدثت نفسي أنه لن يستطيع إكمال القراءة.

ـ الجميع سيدخل النار؟ وأين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «**سبعون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب**» (صحيح مسلم).

ـ لا تعارض.. فإن الجميع «يرد» النار.. والورود هو الدخول.. قال جابر بن عبد الله.. فتكون على المؤمن بردا وسلاما ثم يخرجه الله منها.. أما الظالمون فيقبعون فيها جثيا، أما عبد الله بن مسعود فيقول «**يرد الناس جميعاً الصراط على جهنم ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح، حتى أن آخرهم رجل نوره على موضع إبهام قدمه يمر فيتكفأ به الصراط**» (صحيح الترغيب والترهيب).. وهذا إن شاء الله أقرب إلى الآيات والأحاديث.. أي أن جميع الخلائق يمرون على النار «وهذا ورودها». فتخطف الكلاليب أصحاب الذنوب والمعاصي والكفار إلا من شاء الله، فيعذب الله كُلّا حسب عمله، ثم ينجو الموحدون ويبقى الكافرون فيها أبدا.

ـ هناك آيات تبين أن بعض الناس لا تمسهم النار.. وكذلك بعض

الأحاديث مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ (الأنبياء).

- هذا حقّ.. وعموماً الآيات التي «تطمئن» المؤمنين كثيرة، وكذلك الأحاديث ولكن المؤمن لا يتكل على آيات الرجاء في دنياه، ولا يأمن عذاب الله بل من صفات المؤمنين الإشفاق والخشية والخوف في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ (الطور).. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾ (الإنسان).. وفي وصف القيامة.. ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ (الشورى).. فينالون الأمان يوم القيامة ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾ (النمل)، ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ (الأنبياء).. والظالمون عكسهم آمنون في الدنيا.. يلعبون ويتمتعون.. ويقولون ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾ (المؤمنون)، ويوم القيامة ينالهم الخوف والفزع ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ (الكهف).. ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ (يس). ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ

مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ (الشورى). فالمؤمن يخاف ويتعوذ بالله من النار ويدعو الله أن يكون من الناجين ولا يجزم بنجاته مع أنه يعلم يقيناً ويعتقد دون أدنى شك أن الله لا يخلّد في النار إلا المشركين الكافرين، وكل ذنب دون الشرك يغفره الله وأيضاً يعتقد أن لا نجاة من عذاب الله إلا برحمة الله وعفوه، وأن عمله لا يكفي لدخول الجنة مع أنه لا بد من العمل كسبب لدخول الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الأعراف).. ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ (الإنسان)، فالمسلم يعمل ويقدم أسباب دخول الجنة في الدنيا ويرجو أن يكون من الذين ينجيهم الله يوم القيامة.. ولا تعارض.

كثير ممن يدخل النار يخرجون

ـ (لا ظلم اليوم).. هذا هو العنوان الكبير للحساب يوم القيامة.. لن يُظلم أحد، لا إنسِيّ ولا جنيّ ولا طير ولا دابة... وبعد العدل المطلق من اللّه تكون الرحمة العظمى التي لا يعرف قدرها إلا اللّه عز وجل.. حتى إن الشيطان ليأمل أن يكون من أهل الرحمة!! ولكن هيهات.. ومع العدل.. وبعد الرحمة.. هناك أناس كثيرون يدخلون النار.. بل وبعضهم يخلد فيها فلا يخرج منها أبداً.. ونستطيع أن نذكر بعضهم بالاسم.. فرعون مثلاً.. وأبو لهب.. وزوجته.. وأبو جهل.. وأناس جاء ذكرهم في القرآن والحديث.. وبعض من يدخل النار يخرج.

لم يدع لي فرصة أن أكمل...

ـ وهل يموت أحد في النار؟! وآيات كثيرة تبين أن أهل النار لا يموتون... مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ (فاطر).. ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.. (الزخرف) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ (النساء).. وحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**يؤتى بالموت على هيئة كبش يراه أهل الجنة وأهل النار فيذبح ويقال لأهل الجنة خلود فلا موت، ولأهل النار خلود فلا موت**» (البخاري ومسلم).

انتظرت صاحبي حتى فرغ من سرد كل ما لديه..

- هذه الآيات كلها فيمن كتب عليه الخلود الدائم في النار.. الكفار والمنافقون من بني آدم والشياطين.. هؤلاء لا يخرجون منها أبداً.. ولكن هناك فئات من المسلمين أتباع الرسل يخرجون من النار بعد أن ينالوا جزاءهم.. وهؤلاء جاء ذكرهم في أحاديث عدة.. فالرسول صلى الله عليه وسلم يشفع لكثير من المسلمين الذين أدخلوا النار ابتداء يقول له رب العزة: «**يا محمد أخرج من النار من أمتك من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان.. فيخرج فئات.. ثم ينادي أخرج من النار من أمتك من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.. فيخرج فئات**» (السلسلة الصحيحة) وكذلك يشفع المؤمنون لإخوانهم يقولون: «**يارب إخواننا كانوا يصلون معنا**» (متفق عليه) فيأذن الله لهم أن يخرجوا من النار فئات من المسلمين.. وحديث آخر رجل يخرج من النار صحيح وثابت.. هؤلاء الذين يخرجون من النار يكونون قد امتحشوا وبعضهم تفحم.. فيلقون في نهر الحياة.. فينبتون كما تنبت الحبة.. في شرح هذه الأحاديث قال العلماء: إن الله يكتب على هؤلاء الموت في النار، ثم يحيون بعد أن يُرمَوا في نهر الحياة.. وبعض هؤلاء يسمون (الجهنميون).. الذين يخرجهم الله من النار ولم يفعلوا خيراً قط، إلا أنهم اجتنبوا الشرك والنفاق.. ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم تفاصيل أحد هؤلاء الذين يخرجون من النار.. «**حيث يخرج من النار ووجهه قبالتها.. فيقول يارب اصرف وجهي عن النار.. فيقول: لاتسألني غيره إذا أعطيتك؟ فيقول: لا والله لا أسألك غيره.. فيصرف الله وجهه عن النار تجاه الجنة.. فيرى شجرة فيمكث ما شاء**

الله ثم يقول: يارب قرّبني من هذه الشجرة أستظل بظلها، فيقول: ما أغدرك يا ابن آدم ألم تقل إنك لن تسأل.. فيقول: يارب لا أسألك غيره.. فيدنيه الله من الشجرة، فيمكث ما شاء الله ويسمع أصوات أهل الجنة» (متفق عليه).. وهكذا حتى يدخله الله الجنة ويعطيه عشرة أمثال نعيم الدنيا...

ـ ولكن هذا يعني تنوع عذاب أهل النار، وكذلك تنوع أماكنهم.

ـ نعم.. إن النار ـ والعياذ بالله ـ دركات بعضها أسفل بعض.. لها سبعة أبواب.. كل باب يؤدي إلى ما أسفل منه.. فهي.. جهنم.. ولظى.. والسعير.. وسقر.

ـ وهل نستطيع أن نقول إن عم النبي صلى الله عليه وسلم هو أقل أهل النار عذابا؟

ـ حصل ذلك بسبب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.. فهو أخف المخلدين عذاباً وإنه لا يَرى أحداً أشدّ منه عذاباً.. أما عصاة المؤمنين إذا أخذوا جزاءهم أخرجوا منها بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بشفاعة الملائكة أو بشفاعة المؤمنين أو برحمة الله عز وجل.

دعاميص الجنة

كنت وصاحبي في مكتبه نتحاور حول موضوع الكتاب الذي ينوي طباعته..

ـ سمعت (الشعراوي) ـ رحمه الله ـ ذات مرة يذكر أن أطفال المسلمين الذين يُتوفون صغاراً يسمون (دعاميص الجنة)، لأنهم يدخلون حيث شاءوا في الجنة، لا يمنعهم أحد شيئاً.. ولا أدري مصدر هذه التسمية؟

ـ دعنا نبحث عنه باستخدام الحاسوب، فلا أسهل من ذلك!!

وبالفعل، أدخل صاحبي في خانة البحث كلمة (دعاميص).. فكان ناتج البحث حديث في مسلم.. **(عن أبي حسان، قال: قلت لأبي هريرة: إنه مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم.. صغارنا دعاميص الجنة، يلتقى أحدهم أباه وقال أبويه فيأخذ بثوبه، أو قال بيده كما آخذ أنا بصنعة ثوبك هذا فلا يتناهى، أو قال فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة)** (مسلم)..

ـ وما معنى (دعاميص)؟

أدخل صاحبي الكلمة في خانة المعاني..

ـ و(دعاميص): جمع (دعموص).. وهو نبات يخرج في الماء لا يفارقه.. أي أن أطفال المسلمين في الجنة لا يفارقونها..

ـ ولماذا الحصر في أطفال المسلمين.. أعني.. إن أطفال الكافرين لم يبلغوا سن التكليف ولا حساب عليهم، فلِمَ لا ينالون جزاء أطفال المسلمين نفسه؟!

ـ هذه قضايا غيبية لا نقول فيها إلا بما قال اللّه وقال الرسول صلى اللّه عليه وسلم .. واختلف العلماء في مآل أطفال الكافرين، ولكنا نوقن بلا أدنى شك أن اللّه لا يظلم أحداً.. فمن العلماء من قال: مآلهم الجنة، ومنهم من قال: اللّه أعلم بما كانوا سيعملون.. والأمر للّه عز وجل في مصيرهم.

أحضر الخادم طلبنا من القهوة..

ـ وهل جميع الأطفال يشفعون لآبائهم حتى يدخلوهم الجنة؟

ـ إن الشفاعة أمر اختص اللّه به.. بمعنى أن اللّه يأذن لبعض خلقه أن يشفع لبعض خلقه.. فالإذن من اللّه للشافع، والإذن من اللّه للمشفوع له أيضا..

فالملائكة تشفع والأنبياء يشفعون والمؤمنون يشفعون.. ولكن بعد إذن اللّه.. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥) الشهيد يشفع في سبعين من أهله.. والرسول صلى اللّه عليه وسلم يشفع.. والطفل المسلم المتوفى صغيراً يشفع لوالديه بعد إذن اللّه.. لأن اللّه لا يأذن بالشفاعة للكافرين والمشركين والملحدين والمنافقين.. فإذا أذن اللّه للطفل أن يشفع لأبويه.. فعل.. وذلك إذا انتفى المانع..

ـ إن في ذلك تخفيفاً عن الأبوين إذا فقدا صغيرهما؟!

ـ لا شك أن فقدان الإبن مصيبة عظيمة.. أَمَرنا اللّه أن نصبر عليها.. فإذا علمنا أن الطفل في الجنة.. وأنه ربما كان خيراً له ولهما أن تُوفِّيَ صغيراً.. حيث إنه لو كبر لطغى وتجبر.. كما في قصة الطفل الذي قتله الخضر.. وإذا أيقنّا أن الطفل يشفع لمن يستحق من أبويه.. وأن الآباء والأبناء يجتمعون في الجنة إذا دخلها الجميع.. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ (الطور).. وكذلك إذا تعامل الآباء مع الأبناء أنهم عارِيّة من اللّه.. يستردها متى يشاء عز وجل.. فإن ذلك يعين على الصبر حال فقدان الولد.

ـ ولكن مهما يكن يبقى الألم والحزن؟

ـ هذه قضية فطرية ورحمة وضعها اللّه في قلوب الآباء. ولكن لا ينبغي أن تتعدى إلى الإعتراض على قضاء اللّه والسخط على ما كتبه اللّه عز وجل.. ولا أن يبقى الأبوان بقية الحياة أسيرين للحزن ورغم أن الشعور بأن بضعة من الفؤاد قد اقتطعت يبقى لفترة طويلة عند الآباء.

قوانين الغيب

(الغيب) هو كل ما غاب عن الإنسان، ونقصد بقوانين الغيب ما يحكم العالم الغيبي الذي هو عالم الملائكة وعالم الآخرة وغيرهما من عوالم لا تخضع للقوانين المادية التي تحكم حياة البشر.

ـ ومن أين لنا أن نتعرف على قوانين الغيب؟

ـ من القرآن والسنة، ونحتاج إلى إيمان ويقين حتى نتعامل مع هذه القوانين.

ـ نحن نؤمن بأن الإنسان بعد موته تصعد روحه ثم ترجع إلى الجسد ثم يسأل الإنسان ويحاسب في قبره، وبعض الناس يعذبون في قبورهم وبعضهم ينعمون، بعضهم تختلف أحوالهم بين فترة وأخرى فيخفف عنهم العذاب ثم يزيد ثم يتوقف بعد أن ينالوا جزاءهم، فلو أن أحداً نبش قبراً فإنه لن يجد إلا جسدا مُسَجّى، لا تظهر عليه علامات شيء مما نؤمن به، فهل ينكر الآيات والأحاديث التي تذكر نعيم القبر وعذابه والحساب الذي فيه؟! كلا، لسبب بسيط وذلك أن الغيب لا يقاس بقوانين الظاهر.

ـ هل الجنّ من عالم الغيب؟

ـ نعم، والروح كذلك، وبعض الأحداث التي وقعت كذلك، مثل ما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم، في رحلة الإسراء والمعراج، فإن الكافرين أنكروا عليه ما أخبرهم به لأنهم قاسوا الغيب بمقياس الظاهر،

فكذّبوا .. أما أبو بكر الصدّيق ـ واكتسب لقب الصدّيق من يومها ـ فقد كان جوابه «لئن كان قاله فقد صدق».

فأرجع الأمر إلى الأصل الأول وهو الإيمان بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يخبر إلا حقاً وإن لم تصدقه عقول البشر.

ـ وكيف نتعامل مع أولئك الذين يجعلون من العقل هو المعيار ويعتبرون المعقول هو الصحيح وغيره باطلاً؟!

ـ هؤلاء أخطأوا في الأساس بزعمهم أن العقل لا حدود له، ولقد أخبرنا الله أن للعقل وظيفة كما للبصر وظيفة وللأذن وظيفة. وهذه الأعضاء وظائفها محدودة، فكما أن الجوهر يحجب النظر، كذلك الغيب يحجب العقل، فلا ينبغي إعمال العقل فيما حجب عنه، وهو الغيب وإلا أصبح عمله ظناً وتكهناً، ولذلك وصف الله القول في الغيب (ظن)، ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ (النجم).

ـ وهل الإيمان بالغيب واجب؟!

ـ بل هو ركن من أركان الإيمان، لأن الإيمان بالغيب يشمل الإيمان بالله وصفاته عز وجل والإيمان بالملائكة وما يحصل في السماوات السبع ويشمل الإيمان بما بعد الموت، والإيمان بالبعث وأهوال القيامة والجنة والنار، وكل ما أخبر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأول مدح ناله المؤمنون في القرآن هو ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ (البقرة).

- أليس في هذه الدعوة إلغاء للعقل؟!

- كلا.. بل فيها إعمال صحيح للعقل، لقد أمرنا الله أن نتفكر في خلق السماوات والأرض وأن نرى آياته في الآفاق وفي أنفسنا وفيما حولنا، فإذا أعملنا عقولنا وصلنا إلى أن الله خلق كل هذه الأشياء وخلقنا وأرسل إلينا الرسل، فنثبت رسالتهم بالعقل فإذا ثبتت الرسالة وجب علينا تصديقهم، فيما أخبرونا عن الله عز وجل، لا أن نخضع أخبارهم إلى عقولنا، وإلا ناقضنا أنفسنا في أنهم رسل من عند الله.

القدر.. لا يسخر

يبيح الأدباء لأنفسهم استخدام عبارات وألفاظ يرون أنها تعبر عما يريدون قوله دون النظر في حكم الشرع فيها.. بل ويرى بعضهم أنه يجب ألّا تخضع النصوص الأدبية لضوابط شرعية حتى لا يحد من إبداع النص.. ابنتي من المتابعات للأدب.. لاسيما القصة القصيرة.. كتبَت أكثر من مرة وكنت أراجع لها قبل أن تنشر في الصحيفة الجامعية.. أرشدتها إلى بعض القراءات لتطور أسلوبها القصصي.

ـ ماذا تعنين عندما قلت (ومن سخرية القدر أن يولد إبراهيم في اليوم الذي...).

ـ هذا أسلوب أدبي قرأته أكثر من مرة.. ولاسيما في القصة.

ـ وهل تعرفين معناه؟

لم تترك لي مجالا للتوضيح..

ـ بالطبع.. إنه يعني تلاعب الأقدار بمصير أحدهم...

قاطعتها...

ـ ليس هذا ما سألت عنه.. إن (القدر) جزء من العقيدة ولا يجوز لمسلم أن يظن أن القدر (يسخر).. (القدر) هو علم الله الذي كتبه قبل خلق السموات والأرض... وليس فيه سخرية.. بل كله حكمة وتدبير من الحكيم العليم الرحيم سبحانه وتعالى.. والإيمان بالقدر ركن من أركان

الإيمان.. من أنكره وقع في الكفر..

تلقت كلماتي بتحرج.. لم تعرف ما تقول.

- ولكن القصد هنا مجرد أسلوب أدبي..

- وهل الأسلوب الأدبي يبيح للمسلم أن ينسب إلى الله ما لا يليق به سبحانه وتعالى.. إن (الأقدار) كتبها الله عز وجل وهو الأعلم بما يصلح لعباده.. وهو الحكيم الخبير.. وكما قال عز وجل.. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون) فكل ما قدّر الله عز وجل فيه الحكمة والرحمة.. يراها العبد أحياناً وتخفى عليه أحياناً.. ولكن في قرارة نفسه يجب أن يعلم أن القدر كله خير.. وهذا حال المؤمن.. ويعلم كذلك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.. يؤمن بذلك ويطمئن قلبه إلى قدر الله وقضائه.. ولا يتذمر.. ولا يستهزئ ولا يحتج ويسب.. لأنه من عند الله..

- الكاتب لا يقصد الاستهزاء بقضاء الله... حاشا.. ولكنه أسلوب أدبي دارج تراه في كثير من الكتابات.

- هذا أسلوب يخدش العقيدة.. ويعارض الإيمان بالقدر.. مثل ذلك الأسلوب الذي يسب فيه بعض الناس.. يوم ميلاد أحدهم... أو ساعة تعرفه على أحد.. (يسب الوقت).. وهذا خطأ... لأن (سب الدهر).. فيه أذى لله عز وجل... لأنه هو سبحانه الذي يسير الدهر وكتب ما يحصل في الدهر.. في كل دقيقة أو يوم.. أو أسبوع.. أو شهر.. أو سنة.. فلا يجوز لمسلم أن يسب الدهر.. ولا يلعن ساعة معينة.. ولا يوماً.. لأنه

بذلك يسب الله عز وجل الذي قدّر الأمور في هذه الأوقات.. ولذلك ينبغي للأديب المسلم أن يلتزم آداب العقيدة.. ولاشك أن ذلك لن يعيق عن الإبداع والنبي صلى الله عليه وسلم أيد إبداع الشاعر الجاهلي في قوله.. (ألا كل شيء ما خلا الله باطل).. ولكنه صحح الجزء الثاني من البيت (وكل نعيم لا محالة زائل). قال صلى الله عليه وسلم.. إلا نعيم الجنة.

بدء الخلق

عادتي أن أمكث مكاني بعد الصلاة حتى يخرج معظم المصلين، إقترب من مجلسي بعد صلاة الفجر.. بو وائل، وهو من رواد المسجد لا تفوته صلاة إلا لعذر..

- لدي سؤال واستفسار؟

- وما الفرق؟

- السؤال عن موضوع في العقيدة.. والإستفسار عن رؤيا رأيتها؟

- هات السؤال..

- هو سؤال سألني إياه ابني يقوله: «كيف بدأ الخلق؟ وهل ما نسمعه أن عُمُرَ الكون مليونان أو أكثر أو أقل صحيح؟ وهل بداية الإنسان كانت قبل مليون سنة؟

- (مبتسما): هذه مجموعة أسئلة وليست سؤالًا واحداً.. على العموم بدء الخلق ورد ذكره في كتاب الله وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.. ففي سورة هود يقول تبارك وتعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾.. وفي البخاري من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان**

عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض فأول المخلوقات الماء).. (ثم خلق الله العرش، وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، فقال له اكتب.. قال: ما أكتب؟ قال: ما يكون.. فكتب القلم كل شيء من مقادير إلى يوم القيامة، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) كما جاء في حديث مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص.. وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنبياء).. إشارة إلى أن الماء أصل خلق كل شيء لا الكائنات الحية فحسب بل السماوات والأرضين وكل ما فيها، وتوالى الخلق بعد ذلك، أي خلق الملائكة والجن والإنس، وبالمناسبة خلق الجن قبل الإنس.

ـ يقول إبني إن مدرس الفلسفة ذكر لهم حديثا أن «أول ما خلق الله العقل».

ـ هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكره بعض من لا يهتم بتصحيح الأحاديث وتضعيفها، وبالمناسبة عندما يخلق الله شيئا فإنما يقول له كن فيكون.. ونؤمن بأن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أربعة أيام لخلق الأرض مع تقدير الأقوات والأرزاق فيها، ويومان لخلق السماوات، وليست الأيام لحاجة الله عز وجل لهذا الوقت وإنما لحكمة أرادها الله عَلِمها من عَلِمها وجهلها من جهلها.

ـ بعض الناس يحرم الحديث عن هذه الأشياء، خوفاً من الوقوع في المحظور!

- منهج النبي صلى الله عليه وسلم هو الأكمل، فمن أراد السلامة إلتزم المنهج، فلقد بيّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن أحدنا يأتيه السؤال: **من خلق السماوات؟ فيقول: الله.. من خلق كل الأرضين؟ فيقول: الله.. من خلق كل شيء؟ فيقول: الله.. فيقول: «من خلق الله؟».. فمن أتاه شيء من ذلك فليقل «رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا.. لا إله إلا الله»** (متفق عليه).. وبذلك يؤمن المرء بما يجب عليه دون أن يقع في الخطأ.

علم الشيطان

ـ يتمنى المرء أن يصبح عالماً في الشريعة.. يعرف القواعد ويستنبط الأحكام ويتكلم على بيّنة..

ـ لا شك أن العلوم الشرعية أشرف العلوم، وأهلها ينبغي أن يكونوا أتقى الناس.. ولكن هذه العلوم لا يكفي فيها التحصيل فقط بل قبل أن يبدأ المرء في تحصيل العلم الشرعي يجب أن يخلص النية لله.. بأن يبذل الجهد يريد وجه الله والتقرب إليه ورضاه.. لا يريد وجاهة ولا سمعة ولا شهرة ولا مكانة عند الناس.. نيته صادقة مخلصة.. ويجدد هذه النية دوماً وهو يتحصل العلم الشرعي.. ويتبع نهج السلف الصالح في التعلم والتعليم فيتبع ولا يبتدع.. ويعلم أن تحصيل العلم الشرعي عبادة عظيمة لن يتركه الشيطان دون أن يدخل إليه من هذه العبادة.. يريد إفسادها.

ـ وهل للشيطان سبيل على العلماء؟!

ـ إن الشيطان لا يدع أحداً إلا ويأتيه كما أخبر الله عنه.. ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الإسراء).. وقال.. ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعراف)..

فالشيطان عدو لبني آدم جميعا وهو على الأتقى أحرص.. يريد أن يصده عن سبيل الله.. فالعلماء عرضة للشيطان أكثر من غيرهم والشيطان أقل حظاً مع العلماء من غيرهم!!

ـ وكيف يأتي الشيطان لطالب العلم وهو على اطلاع بالأحاديث والآيات وما يريده الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

ـ هل تدري أن الشيطان (إبليس عليه لعنة الله).. كان على علم بالله والملائكة.. وعلى علم بالخلق وكان أكثر الجن عبادة لله.. ولكن كل هذا العلم لم ينفعه وذلك أنه دخل الكبرُ قلبه.. فرفض أمر الله بالسجود لآدم.. لقد كان يعلم أن رفض أمر الله كفر.. وأنه سينال اللعنة إلى يوم الدين.. وأن الخلود في عذاب دائم هو مصير من يرفض أمر الله صراحة.. ومع ذلك ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (البقرة) . أليس موقفه غريباً لا عقل.. ولا منطق فيه.. وكأنه لا يعرف مصلحة نفسه.. فهذا علمه لم ينفعه لأنه (تكبر).. ومن الناس من يعلم ولا يعمل.. لأي سبب من الأسباب.. فهذا أيضاً علمه لا ينفعه.. ولذلك شبه بعضهم العلم الذي لا ينفع بعلم الشيطان.. وهذا العلم من الأمور التي علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ منها.. لأنه حجة على الإنسان لا حجة له.. وإثم عليه لا ثواب له..

ـ وهل الرياء من هذا النوع الذي يحبط العلم؟!

ـ دون شك.. فأول من تسعّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة أحدهم (عالم).. تعلم العلم ليقال (عالم).. فلم ينفعه علمه.. وكذلك من يتعلم العلم دون إخلاص النية لله.. يرائي الناس.. يجاري العلماء.. ويماري السفهاء.. لا يريد وجه الله.. فهذا أحبط عمله وضيع فرصة عظيمة ونعمة كبيرة هيأها الله له.. فيستحق العذاب الشديد.. لعلمه الذي لم ينتفع به.

النفس والروح

سألني صاحبي عن حوار دار بينه وبين بعض من يؤمن بتناسخ الأرواح،وأن الروح لا تفنى وإنما الجسد فقط...

ـ هؤلاء لاسند لهم سوى النظر البشري والعقل، ويظنون أنهم أصحاب نظرية وفلسفة راسخة..

ـ وما هي عقيدتنا التي لا تأتي من هوى ولا تنطلق من ظن وإنما تأتي من اليقين الذي لا ينتابه شك؟

ـ عقيدتنا أن الروح خَلْقٌ من خلق الله.. والله تبارك وتعالى هو (بارئ النسمة).. أي خالق الروح وهي من الأمور التي لم يعلمنا الله عنها إلا بالقدر الذي نحتاج أن نعلمه ولا نستطيع أن نخوض فيها إلا بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة ونتوقف حيث أمرنا الله..

ـ ولكن الله سمى القرآن (روحاً)... وسمى جبريل (روح القدس).. و(الروح الأمين)...

ـ هذه مسميات تختلف عن مرادنا بالروح والنفس.. أما أن القرآن (روح) كما في قوله تعالى...﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى) فالقرآن حياة القلوب كما الروح حياة الأبدان.. والكفار الذين لا يؤمنون (أموات)... لا (روح) فيهم رغم أنهم يدبون على الأرض.. أما وصف جبريل بـ (الروح) مثل قوله عز

وجل ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القدر).. حيث أن أخص مهام جبريل (نفخ الروح) الذي هو حياة البدن.. والنزول بالوحي الذي هو حياة القلب.. فهو (الروح).. و(روح القدس).. أما موضوعنا فهو الروح التي بين أضلعنا والتي إن فارقت أبداننا مِتّنا وانتقلنا من هذه الدنيا إلى حياة البرزخ ثم إلى الآخرة..هذه الروح مخلوقة وإذا مات الإنسان فارقت الجسد أولاً كما في حديث خروج الروح.. كما في صحيح مسلم: (**إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها..**) إلى آخر الحديث الذي يذكر من طيب رائحة روح المؤمن ونتن رائحة روح الكافر.. وصعود روح المؤمن في السموات وإلقاء روح الكافر إلى سجين.. ثم بعد ذلك تعاد إلى الجسد.. ثم ترتبط بالجسد ارتباطاً برزخياً بحيث ينعم الجسد مع الروح أو يعذب الجسد بكيفية لا نعلمها ولكن نؤمن بها... ثم بعد ذلك تصير أرواح المؤمنين إلى أجواف طير في الجنة.. قاطعني..

ـ إسمح لي..ماذا عن النفس.. هل هي الروح؟

ـ أحيانا نستخدم كلمة (النفس) بدل (الروح).. مثلا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفجر).. وحديث: «**إن الله قبض أرواحكم حيث شاء**» (متفق عليه).. وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الزمر).. والمقبوض هو (الروح) فالروح والنفس قد يلتقيان في المعنى وقد نطلق (النفس) على (الروح والبدن) مجتمعين.. فالروح ليست مخلوقا خالداً بل عندما يأمر الله ملك الموت بإماتة كل

شيء يوم القيامة فلا يبقى إلا الله عز وجل بعد موت ملك الموت نفسه يقول الله «**أنا الملك أين ملوك الأرض**» (متفق عليه) ولا يجيبه أحد ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ (غافر) ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص: ٨٨).. فالروح مخلوق له خصائصه.. يتصل بالجسد منذ خلقه في بطن الأم بعد (١٢٠) يوما.. ثم يبقى مع الجسد في الحياة في حال اليقظة وفي حال المنام اتصالان مختلفان.. ثم بعد الموت اتصال ثالث.. ثم يوم القيامة ترجع الروح إلى الجسد للحساب ثم النعيم أو العذاب...

الأحلام والرؤى

سألني بعد الانتهاء من درس العصر..

ـ هل صحيح أنه يحرم تفسير الأحلام؟ لقد سمعت أحدهم في الديوانية ليلة البارحة يقول إنه سمع ذلك في المذياع..؟

ـ كلا.. لم يقل أحد بتحريم تفسير الأحلام.. بل الرسول صلى الله عليه وسلم أوَّل، أي فسَّر الحلم عدة مرات، بل كان صلى الله عليه وسلم يسأل صحابته أحياناً بعد صلاة الفجر من رأى منهم رؤيا.. وكان يخبرهم بما رآه عليه الصلاة والسلام في منامه.. وتعلم قصة يوسف عليه السلام في تفسير أحلام من كان معه في السجن، وكذلك تفسيره لرؤيا الملك عندما رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف.. فتفسير الأحلام لا شيء فيه ولم يقل بحرمته أحد.

كان ثالثنا «أبو سالم».. استدرك على صاحبي..

ـ لم يقل أن تفسير الأحلام حرام.. وإنما قال لا يجوز أن يبني الإنسان حكماً على رؤيا رآها.. مثلاً يأتي أحدهم فيقول «رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرني أن أغسل رجلي إلى الركبة في الوضوء» وهذا تشريع لا يجوز أن نأخذه من الأحلام والرؤى.

ـ هذا الكلام صحيح.. الأحلام ليست مصدر تشريع وليست مصدر إخبار عن القضايا الغيبية العامة.. كالآخرة وما يحصل فيها.. إلا أحلام الأنبياء فإنها تشريع.. كما فعل إبراهيم عليه السلام عندما رأى في المنام

أنه يذبح ابنه صدَّق الرؤيا وهمَّ بذبح ابنه اسماعيل، وامتدحه اللّه في ذلك.. وكذلك ما أخبرنا به الرسول صلى اللّه عليه وسلم من أنواع عذاب القبر في الرؤيا التي حكاها للصحابة عن (**أناس تقرض أفواههم وأناس يسبحون في بحر من الدم وأناس ترضخ رؤوسهم بالحجارة**).. (أصله متفق عليه) كل هذا حق ونؤمن به، وذلك لأنه رؤيا النبي صلى اللّه عليه وسلم.. ورؤيا الأنبياء حق.

ـ وماذا عن الحديث «**من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**» (متفق عليه)؟

ـ هذا الحديث معناه أن من رأى الرسول صلى اللّه عليه وسلم في المنام فقد رآه على صورته الحقيقية.. ولكن هذا لا يعني أن من نعتقد أنه الرسول في المنام هو حقاً الرسول عليه الصلاة والسلام.. إلا إذا جاء الوصف مطابقا لما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

– وهل رؤية الرسول دليل على صلاح الإنسان وتقواه؟

– ... إن صلاح الناس لا يبنى إلا على الإخلاص في القلب والاتباع في العمل.. أما الأحلام.. والادعاء.. والأماني فلا اعتبار لها عند اللّه.

– وما أحسن الكتب في تفسير الأحلام؟!

– ليس هناك كتاب بعينه.. وأشهر كتاب هو لابن سيرين.. وعموماً.. من أراد أن يتصدى لتفسير الأحلام لابد أن يتقي اللّه ويعلم أنه لا يجوز له أن يفسر إلا بخير.. وإلا فلا.. والمشكلة أن جهل الناس وقلة إيمانهم

يجعلانهم يصدقون كل أحد.. بل وبعضهم يظن أن الاستخارة مرتبطة برؤيا يراها.. وبعضهم يعيش في شك من أمره بسبب رؤيا رآها.. وهذا كله من الشيطان.. المؤمن إذا رأى ما يحب حمد الله واستبشر وأخبر من يحب.. وإذا رأى ما يكره تعوذ من الشيطان ولم يهتم لأمر الحلم.. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**» (متفق عليه).. وغالب الأمر أضغاث أحلام لا علاقة لها بشيء إلا بما يملأ فكر الإنسان أو بطنه.

الفهرس